

شِرْح

كتاب التوحيد

لِسَامِةَ الْشِّيْخِ عَبْدِ الرَّزِّيْقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازْ
مُفْتَأِلِ اللَّهِ

الناشر
كتبة الرسول
الرياض

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٥ - ١٩٩٥ م

مكتبة الرشد للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز
ص.ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ هاتف: ٤٥٨٣٧١٢



تلفون: ٤٥٧٣٣٨١ فاكس مللي: ٤٥٧٩٨

فرع القصيم بريدة حى الصفراء

ص.ب: ٣٢٤٢٢١٤ هاتف وفاكس مللي: ٣٢٤٢٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، وننعواز بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضللا فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا﴾ [النَّاسَ: ١].**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يَصْلَحُ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ وَمَنْ يَطْعُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٧١-٧٠].
أما بعد:

فإن كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد الذي ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى المتوفى عام ١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ عندما رأى حاجة الناس إليه في ذلك العصر فهو من أهم الكتب التي ألفت في هذا الباب ولأن هذا الكتاب قد ألف في موضوع خلق الله الخلق لأجله قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦] لذا فإن هذا الكتاب لا يستغني عنه طالب علم ويجب أن لا يخلو منه بيت مسلم لأجل هذا قد تناول العلماء، هذا الكتاب بالشرح والحواشى التي تبسط مسائله لطلاب العلم وما زال طلبة العلم يتلهفون للشرح التي تظهر لهذا الكتاب وها نحن اليوم نقدم لطلبة العلم شرحاً مختصراً لهذا الكتاب وما يزيد هذا الشرح بهاءً فهو لعلامة هذا العصر وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر شيخنا الفاضل أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد بالململكة العربية السعودية حفظها الله من كل سوء ونسأل الله تعالى أن يبارك في شيخنا وأن يجعله

له في ميزان حسناته إنه ولي ذلك والقادر عليه، ونحن إذ نقدم هذا الشرح لطلبة العلم نأمل أن نكون قد قدمنا لهم ما يفیدهم في دينهم و يجعله عوناً لهم في الدعوة إلى الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الناشر

ترجمة المؤلف

هو العالم العابد الحافظ الزاهد إمام أهل السنة في هذا العصر أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل بار ولد بمدينة الرياض في ذي الحجة عام ١٣٣٠ هـ وحفظ القرآن وهو دون البلوغ على يد شيخه عبد الله بن فريح ثم بدأ في تلقي العلوم الشرعية وكف بصره وهو في العشرين من عمره أي عام ١٣٥٠ هـ ولم ينته فقد بصره عن طلب العلم بل زاده ذلك جداً واجتهاداً وقد عوشه الله عز وجل بفقد بصره الذكاء المتوفد وزاد قلبه بصيرة وعلماً حتى علت منزلته عند عامة المسلمين وسائل الله تعالى أن يعلي درجته في الجنة إنه ولِي ذلك والقادز عليه.

تلقي الشيخ علومه على عدد من علماء عصره وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ صالح بن عبد العزيز، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد بن وقارن، والشيخ محمد بن إبراهيم رحمهم الله تعالى.

تولى الشيخ عدد من المناصب وكان أولها توليه القضاء بمدينة الخرج لمدة أربعة عشر عاماً من عام ١٣٥٧ هـ - ١٣٧١ هـ ثم بعدها عمل بالتدريس بالمعهد العلمي بالرياض وكلية الشريعة ثم عين نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية ثم تولى إدارة الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٥ هـ ثم عين عام ١٣٨٩ هـ رئيساً لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

وللشيخ أيضاً عضوية في كثير من المجالس العلمية والإسلامية نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أيامه ويحفظه من كل سوء

للشيخ عدد كبير من المؤلفات نذكر بعضها منها الفوائد الجليلة في المباحث الفرضية، التحقيق والإيضاح لكتير من مسائل الحج والعمرة، التحذير من البدع، رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام، العقيدة الصحيحة وما يضادها،

وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها، الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاء، وجوب تحكيم شرع الله ونبذ من خالفه، حكم السفور والحجاب ونکاح الشغار، نقد القومية العربية، الجواب المفيد في حكم التصوير، الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ودعوته وسيرته، ثلاث رسائل في الصلاة، كيفية صلاة النبي، وغيرها من المؤلفات المفيدة التي يستفاد منها عامة المسلمين نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في شيخنا ويحفظه من كل مكروه وسوء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



كتاب التوحيد

١- باب حق الله على العباد وحق العباد على الله

وقول الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» [الذاريات: ٥٦].

وقوله: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ»

الآية [النحل: ٣٦].

وقوله: «وَقَضَيْنَا رِبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنَّا هُوَ بِالْوَالِدِينِ إِحْسَنَاتِنَا» الآية

[الاسراء: ٢٣].

وقوله: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» الآية [النساء: ٣٦].

وقوله: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» الآيات

الاتنام: ١٥٣-١٥١].

قال ابن مسعود: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلَيَقْرَأْنَاهُ». قوله تعالى: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» إلى قوله: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا» الآية.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنتُ رديفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَمَارٍ فَقَالَ لِي: يَا مَعَاذَ! أَتَذَرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعَبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقُّ الْعَبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، قُلْتُ: أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَنْكُلُوْا» أَخْرِجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

التوحيد: مصدر وحْدَ يُوحَدْ توحيداً. والتَّوْحِيدُ: إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ.

قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» هذه هي الحكمة

الشرعية من خلقهم فلم يخلقهم ليكثر بهم من قلة، كما أنه خلقهم ليتليهم أيضاً.

كما قال تعالى: **﴿الذى خلق الموت والحياة ليسلوكم أياكم أحسن عملاً﴾** ولعلهموا صفاته كما قال: **﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قادر وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾** فخلقهم ليعلّمهم أنه الخالق الرازق والقادر وابتلاهم بالأوامر والنواهي والتكاليف ليعبدوه على بصيرة. ولأجل هذا بعث الرسل وانزل الكتب ليعلّمها حقها ويتمسّكوا بها.

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾
أي اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت.

والطاغوت: ما عبد من دون الله وهو راضٌ أما ما عبد من دون الله وهو لا يرضي بذلك كالرسل والأنبياء فليسوا بطاغوت لأنهم لم يأمروا بذلك.

﴿وقضى ربكم أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾

أي أمر وأوصى أن لا تعبدوا إلا الله لأنّه هو المستحق للعبادة فلا إله إلا الله أي لا معبد بحق إلا الله فاعبده وحده ولا تشركوا معه في عبادته أحداً من نبي أو ملك أو ولی أو غير ذلك. فعلى الإنسان أن يحذر من الشرك كلّه.

﴿فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ **﴿قل تعالوا أتلت ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً﴾** ... الآية.

أي قل يا أيها الرسول: تعالوا أيها الناس أخبركم وأقصى عليكم ما حرمكم الله عليكم واتل على علم ويقين لا عن شك وظن وأول هذه المحرمات: الشرك. و (لا): صلة. فحرم الشرك كما حرم المحرمات وأعظم هذه المحرمات هو الشرك.

والشرك: صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله.
واشتملت هذه الآيات على عشرة أمور:
الأول: الشرك.

الثاني: الإحسان إلى الوالدين وذكرهما بعد ذكر حق الله يدل على عظم حقهما، والإساءة إليهما من أجرم الذنوب والمعاصي وقرنهما الله بحقه في غير ما آية.

الثالث: عدم قتل الأولاد.

الرابع: عدم قرب الفواحش من الغيبة والنميمة والزنا والسرقة وغيرها.

الخامس: عدم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

السادس: عدم أكل مال اليتيم. واليتيتيم هو الذي مات أبوه قبل الاحتلال.

السابع والثامن: الكيل والوزن بالقسط.

التاسع: الوفاء بعهد الله.

العاشر: العدل.

وعهد الله ما أوصى به: من عبادته وعدم معصيته وإفراده.

والفواحش: هي العاصي وسميت بذلك لأن العقل السليم ينكرها والفطرة السليمة تنكرها.

والوصية: الأمر المؤكد، أوصى بشيء إذا أكده.

والعقلاء: هم الذين يعقلون هذه الأمور ويلتزمونها بعقولهم.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ صراط الله هو فعل الأوامر وترك النواهي والإخلاص له، فعليهم أن يستقيموا عليه ويلتزموا به.

﴿وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُل﴾ والسبيل: هي البدع والأهواء والشهوات المحرمة، وذكر التعقل أولاً لأن العبد يتذكر أولاً ثم يتأمل فيعرف ويتذكر ثم يتقي فيعمل بما ينفعه ويترك ما يضره ويغضبه ربه.

قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه ...

أي كأنه كتبها وختمها بختمه، فهذه وصية الله وهي وصية من رسوله ﷺ

وكان الصحابة قد أسفوا لما أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يوصي ثم ترك ذلك، وذلك أنه حين أراد أن يوصي قال بعضهم أحضروا كتاباً وقال بعضهم لا تشغلوه وهو مريض فامر بإخراجهم وقال ما ينبغي عندي التنازع.

قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين الرسول وبين أن يكتب

الوصية. وجاء في الحديث: أن الرسول قال لأصحابه لا تبايعوني على هذه

الآيات؟ .

* وعن معاذ رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي عليه الصلاة والسلام على حمار فقلال..

في الحديث تواضع النبي عليه الصلاة والسلام وحسن خلقه من وجوه: كونه راكب على حمار، وكون له رديف ومحادثه لمعاذ رديفه بخلاف ما يفعله بعض المتكبرين. وفيه: إخراج الفائدة والحكم بصيغة السؤال وهذا له وقع في قلب السامع ويكون متهدئاً ومتخمساً للجواب بخلاف ما لو ذكر الحكم ابتداء فربما لم يتبه له.

وقوله: الله ورسوله أعلم فيه حسن خلق معاذ حيث لم يتكلف مالا يعلمه وهذا هو الواجب أن يقول: لا أدرى أو الله ورسوله أعلم في حال حياته وبعد وفاته يقول الله أعلم أو لا أدرى ولا يقول الله ورسوله أعلم لأن النبي عليه الصلاة والسلام لا يدرى ما أحدث الناس بعده كما في حديث الحوض حين يقول أصحابي أصحابي فيقال له: أنك لا تدرى ما أحدث الناس بعده أ.هـ.

* * *

- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: «**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**» [الأنعام: ٨٢] الآية.
عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ شَهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلْمَتُهُ أَقَامَهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحُهُمْ. وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ: أَدْخِلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ.

أَخْرَجَاهُ وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عَتْبَانَ: (فَإِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَغْفِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ عَلَمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ». قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». قَالَ يَا رَبِّ. كُلُّ عَبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَنَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ -غَيْرِي- وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفِهِ: مَالَتِ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذني - وحسنه - عن أنس سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: قالَ اللهُ تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَاً ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تُسْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً.

أراد المؤلف به بيان شيء من فضل التوحيد وأنه أعظم الأعمال في تكفير الذنوب لأنَّه أساس الأفعال وأصلها، والأفعال لا تصح إلا بعد وجوده. وذكر ذلك حتى يعرفه المؤمن ويكون أكثر إقبالاً عليه وتشوقاً إليه.

قال تعالى «**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مَهْتَدُونَ**». آمنوا: أي وحدوا الله وأخلصوا له العبادة وأمنوا أنه أكفهم الحق. ولم يلبسو: أي لم يخلطوا إيمانهم: توحيدهم. بظلم: بشرك بل أخلصوا له العبادة سبحانه. لهم الأمان: أي الأمان الكامل والهدى الكاملة إذا كان إيمانهم سليماً من الظلم كله دقه وجله؛ من الشرك وما دونه من المعاصي وظلم العباد.

ولما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وجاؤا إليه وقالوا: أينا ألم يظلم نفسه - ظنوا أنه أراد جنس الظلم أي جنس المعاصي - فقال ألم تسمعوا قول العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم - فالمراد من الظلم هنا: الشرك بخلاف المشرك فلا أمن له بل إلى النار. والمؤمن إذا سلم من الشرك الأكبر والأصغر وظلم العباد فله الهدایة الكاملة والأمن التام في الدنيا والآخرة، أما إذا سلم من الشرك الأكبر ولم يسلم من الأصغر ومن بعض الذنوب فهدايته ليست كاملة وأمنه ليس كاملاً بل ربما يدخل النار بالمعاصي التي مات عليها. وفي شرح الآية بين الرسول أن الهدایة والأمن المطلقين لا يحصلان إلا بترك الشرك، لكن دلت النصوص الأخرى أن الهدایة لا تكمل والأمن لا يكمل إلا بالسلامة من المعاصي وظلم العباد وسائر أنواع الشرك الأصغر.

* حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً (من شهد أن لا إله إلا الله .. أدخله الله الجنة ..).

(روح منه): أي روح من الأرواح التي خلقها وأوجدها. فمن شهد هذه الشهادة صادقاً أدخله الله الجنة، وهذا من الأحاديث المطلقة الدالة على فضل التوحيد، ولكن دلت النصوص على أن هذا الإطلاق مقيد بمن أدى حق هذه الشهادة، أي شهد شهادة جازمة بذلك تتضمن إخلاص العبادة له وحده عن صدق وانقياد ومحبة وقبول وإخلاص ومتابعة لنبيه عليه الصلاة والسلام وطاعته فمن شهد لها ولطخها بالمعاصي والسيئات أو قالها باللسان فقط وهو يشرك بقلبه أو عمله كالمتافقين فهذه لا تنفعه الشهادة، بل لا بد من قولها والجزم بها والعمل بالأوامر وترك النواهي واتباع النبي عليه الصلاة والسلام وإلا فتكون الشهادة مدخولة لا تقوى على دخول صاحبها الجنة إلا بمشيئة الله.

قوله (على ما كان من العمل): أي على ما كان عنده من صلاح وفساد إذا قالها عن إخلاص وإيمان. ولكن هذا الدخول قد يكون من أول وهلة، أي: يدخل ابتداء إذا مات على توبه وعمل صالح وصدق، وقد يكون بعد ما يقتل بـ

من جراء السيئات والمعاصي ويعدما يمحص في النار ويعذب فيها ثم مصيره إلى الجنة فمن أدى هذه الشهادات وقضى ما عليه دخل الجنة من أول وهلة، وإذا مات على المعاصي فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة.

* (ولهمما من حديث عتبان: فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يتغى بذلك وجه الله).

أى: من قالها عن صدق ومات عليها أدخله الله الجنة فإن كانت له ذنوب فهو تحت المشيئة إن لم يتتب من ذنبه كما تقدم.

ومن قالها مخلصاً وصادقاً فإنه لا يصر على السيئات لأن إيمانه وإخلاصه الكامل يردعه عن الاستمرار والإصرار على المعاصي فيدخل الجنة ابتداء مع أول الداخلين، والدليل على أن من مات على المعاصي فهو تحت المشيئة قوله تعالى: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» ودللت الأحاديث أن أهل المعاصي معرضون للوعيد وأنهم يدخلون النار ثم يخرجون بشفاعة الأنبياء وغيرهم. لأنهم قد أضعفوا توحيدهم ولطخوه بالمعاصي.

وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة وهو المعنى الصحيح الذي خلا عنه أهل البدع من الخوارج والمعزلة والمرجئة وغيرهم.

- من كفر بالله فإن الشهادة لا تنفعه وإن شهدوا.

* حديث أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى يارب علمني شيئاً..» يدل الحديث على فضل هذه الكلمة وأنها ذكر ودعا لقوله علمني شيئاً ذكرك وأدعوك به - فهي ذكر لله لأن فيها شهادة له بالوحدانية. ودعا: لأن قاتلها يرجو ثوابها وهكذا كل الأذكار من تسبيع وتحميد وحوقلة.

وفي هذا دلالة على شأن هذه الكلمة فهي ذكر ودعا وأن فضلها قد يخفى على بعض الأنبياء.

وعظم هذه الكلمة في: أنها تحقق العبادة لله وحده وتبثبها لله وتنفيها عن غيره ومعناها: أن لا معبود بحق إلا الله، فقيها: إبطال لجميع الآلهة.

قوله (وَعَمِّرْهُنَّ غَيْرِي):

استثنى سبحانه نفسه لأنَّه العظيم وهو سبحانه فوق العرش وبه قامت السموات والأرض وهو الذي أمسكهن وأقامها وأقام العرش والكرسي وبه قامت هذه المخلوقات قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾.

في كفه: أي كفة الميزان، ولا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكَفَةِ الْأُخْرَى.

مالت بهن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: مالت بهن أي بمعناها وليس بأجرامها. فبالنظر إلى المعاني والحقائق فإنَّ الكلمة التوحيد أعظم وأصدق وأهم معنى فترجح على غيرها. وكما رجحت الكلمة بالمخلوقات فإنَّها ترجح بين قالها على جميع سيئاته وذنوبه. * حديث أنس مرفوعاً «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني . . .» يدل على أنَّ الخطايا كلها مرجوحة في مقابل حقيقة الكلمة التوحيد كما ترجح بالمخلوقات العظيمة.

قرابها بالظلم: أي ما يقارب الأرض ويملأها.

ووجه العلماء هذا الحديث بوجهين :

الأول: أنَّ هذا في حق من قالها صادقاً مخلصاً لم يصر على سيئة أصلاً فأحكم هذه الكلمة حتى صار مؤدياً لجميع الواجبات تاركاً لجميع المنهيات مستقيماً على شرع الله في كل شيء.

الثاني: إنَّ هذا في حق من قالها وأتى إلى الله تائباً من خطايته مقلعاً عن ذنوبه وسيئاته فكل الخطايا ساقطة بهذه الكلمة.

- وهذا المعنى لابد منه لأنَّ الآيات والأحاديث دلت على أنَّ أهل المعاصي على خطر وأنَّهم متوعدون بالنار، والنصوص لا تعارض بعضها بعضاً ولا تتناقض بينها فوجب حمل النصوص على هذا المعنى حتى لا يكون هناك اختلاف وتناقض. وقد تعلق بعض الجهلة بمثل إطلاقات هذه النصوص وظن أنَّ هذه الكلمة تكفي بمجرد القول وإن ترك الواجبات و فعل المعاصي. وهذا مخالف لما أجمع عليه

سلف الأمة من أنه: لابد من أداء الواجبات وترك المحرمات والوقوف عند حدود الله.

ومن ترك الواجبات أو فعل النهيات فإنه معرض لعقوبة الله تعالى وإن كان يقول هذه الكلمة ويؤمن بها.

وإن أتى بما ينقض إسلامه صار مرتدًا كافرًا لم تنفعه هذه الشهادة. فلا بد من تحقيق هذه الكلمة ومستلزماتها وإلا فهو على حظر إن لم يتبع.

* * *

٣- باب من حق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَانْتَأَلَهُ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ» [النحل: ١٢٠]. وقال: «وَالَّذِينَ هُمْ بِرِّهِمَ لَا يُشْرِكُونَ» [الزمآن: ٥٩].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: «كنتُ عند سعيد بن جُبَير فقال: أين رأى الكوكب الذي انقضى البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت أما أني لم أكن في صلاة: ولكنني لدغتُ. قال فما صنعتَ؟ قلت: ارتقىتُ. قال: فما حملكَ على ذلك؟ قلت: حديث حدثنا الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رُفِيَّةٌ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ، قال أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَمْمَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلُانُ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أَمْتَيٌّ: فَقَيْلَ لِي هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقَيْلَ لِي: هَذِهِ أَمْتَكُ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثم نهض فدخل منزله فخاض الناسُ في أولئك، فقال بعضُهمْ فلعلهم الذين صَحَبُوا رَسُولَ الله ﷺ وقال بعضُهمْ: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً. وذكرُوا أشياءٍ فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتُوْنَ وَلَا يَتَطَيِّرُونَ». وعلى ربهم يَتَوَكَّلُونَ» فقام عكاشه بن محسن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: أنت منهم. ثم قال رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشه.

تحقيق التوحيد: تخلصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

فمن حق توحيده وسلم من الشرك والبدع والمعاصي دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. لأن الشرك الأكبر ينافي التوحيد، والأصغر ينافي كمال الواجب، والبدع والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه.

قال تعالى: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَانْتَأَلَهُ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ».

وصف الله خليله إبراهيم بصفات عظيمة تدل على كمال توحيده وإيمانه ومن ذلك . الأولى (أمة): أي داع إلى الخير وحده صابرًا عليه كما فسره العلماء . فيدعوه إلى الحق ويستقيم عليه وحده عند فساد الناس وهذا الأمران مجتمعان في إبراهيم فإنه على الحق ليس عليه غيره ومع ذلك يدعو إليه وحده .

الثانية (قانتا الله): أي مطیعاً لله مستمراً على الخير فمن معاني القنوت: دوام الطاعة، وقنوتة كان لله وحده فلم يكن يعبد الله غيره .

الثالثة (حنيفاً): الم قبل على الله المائل إليه، من الحنف: وهو الميل ، فهو مائل عن عبادة غير الله إلى الله عز وجل ثم أكد الكلام بقوله (ولم يك من المشركين). بل فارقهم في عقيدته وأعماله وأقواله ومترله ، وهذا الذي ينبغي للمسلم: أن يستقيم ويتحقق توحيده ، ولا يخالط المشركين ويكثر سوادهم .

فلهذه الصفات حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام كمال التوحيد .
قال تعالى: «والذين هم بربهم لا يشركون» .

هذا من صفات أهل التوحيد والإيمان أنهم كانوا موحدين لله مخلصين له خالصين من الشرك مع عبادتهم وخوفهم لله وهذا كمال التوحيد .
إذا كان إبراهيم عليه السلام قد حقق التوحيد فنبينا عليه السلام أولى أن يكون قد حققه لأنه أتقى الناس لله وأخلصهم له .

* حديث حصين: كنت عند سعيد بن جبیر فقال أیکم رأى الكوكب ..

قوله (غير أني لم أكن في صلاة): فيه صفة من صفات السلف وهي أنهم كانوا يتحرزون من إظهار أعمالهم خوفاً من الرياء وتزكية النفوس .

لدغت: اللدغ إذا أصابته لسعة من عقرب أو حية ونحوهما .

ارتقيت: طلبت من يرقيني لأن الرقية ينفع الله بها من اللدغ .

قوله (فما حملك على ذلك): فيه السؤال عن الدليل فيما فعله وفيه حال السلف وما هم عليه من المذاكرة وطلب الدليل .

قال: عن بريدة بن الحصيـب: فهذا الحديث جاء عن بريدة وجاء مرفوعاً إلى

النبي ﷺ. وقوله (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) لأنه عمل بعلم ولم يعمل بجهل أو بخلاف ما تعلم.

قوله (لا رقية إلا من عين أو حمة): فيه أن من أصيب بأذى **الحيات** وال**العقارب** أو بأمراض أخرى فلا بأس بأن يرقى نفسه أو يسترقى. وليس المراد في الحديث الحصر بل حمله العلماء على الأولوية أي لا رقية أولى من رقية العين والhmaة لأن الأحاديث دلت على جواز الرقى من غير العين والhmaة كحديث «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً» وثبت أنه **رقى** و**رقى** فدل على جواز ذلك ولا بأس من نفع المريض وقراءة الآيات عليه.

والعين: من عين العائين ونظرته ونفسه.

والhmaة: لدغ **الحيات** وال**العقارب**.

وهذه الرقية نافعة بالنص والتجارب. فيستحب لمن أصيب بها أن يرقى نفسه أو يرقى به آخره لحديث «من استطاع أن ينفع أخيه بشيء فليفعل» والاسترقاء وطلب الرقية تركه أولى لكن إن احتج إلى ذلك فلا بأس ولهذا استرقى النبي ﷺ لأولاد جعفر كما سألته، وقال لأمهما أسماء «واسترقى لهم» لما أصابتهم العين.

ثم ذكر سعيد ما هو أفضل منه - أي من الاسترقاء فقال حدثنا ابن عباس ..

وقوله (عرضت على الأمم): كان هذا ليلة الإسراء على الصحيح.

وقوله والنبي وليس معه أحد ومنهم من قتله قومه، وهذا يدل على أن المتبين للحق قليل كما قال تعالى «وما أكثر الناس ولو حرصت بعومنين». وقوله: هذا موسى وقومه: يدل على فضل موسى وأنه استجاب له كثير من بني إسرائيل.

قوله (فنظرت فإذا سواد عظيم): وفي رواية: أنهم سدوا الأفق، وفي رواية: أنهم سدوا الأفق الآخر، وهذا يدل على عظم هذه الأمة وأنهم أكثر أتباعاً لأنهم آخر الأمم ونبيها خاتمها، وهم نصف الجنة أو ثلثاها كما جاء في الحديث.

قوله (ومعهم سبعون ألف): جاء في أحاديث أخرى أن مع كل واحد سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب لكمال تقواهم وإيمانهم واستقامتهم. وكلما كان العبد أكثر استقامة كان أسهل لدخول الجنة.

قوله: فخاض الناس فيهم: أي في صفاتهم، ومن هم. ففيه شرعية البحث والمذكرة والنظر في النصوص للعلم.

قوله (هم الذين لا يسترقون): لا يطلبون من يرقيهم. وفيه: فضل ترك سؤال الناس والاستغناء عنهم حتى في طلب الرقية، لكن لم ينه عن هذا وإنما ذكر فضل تركه فقط فإذا دعت الحاجة إليه فلا بأس من العلاج وتركه أفضل عند عدم الحاجة.

٧ قوله (ولا يكترون): وتركه أفضل عند عدم الحاجة لأنه نوع تعذيب. فإذا تيسر دواء غيره فهو أولى فإن دعت الحاجة إليه فلا كراهة لحديث (الشفاء في ثلاثة: كية نار أو شربة عسل أو شرطة مهجن) وفي لفظ: (وأنهى أمتى عن الكي) فالنهي للتزيه لا للتحريم. ولهذا كوى بعض أصحابه وكوى الصحابة من أمراض أصابتهم فهو جائز عند الحاجة إليه والاستغناء عنه بدواء آخر أفضل - فهو من صفات السبعين - فإذا دعت الحاجة إليه فلا بأس

قوله (ولا يتطيرون): الطيرة هي الشرك وهي التشاوم بالمرئيات أو المسموعات حتى يرده ويوقفه عن حاجته. وهذا منكر منهى عنه وقال (الطيرة شرك) وقال (ولا ترد مسلماً). وقال «إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك».

والحسنات: هي النعم. والسيئات: هي المصائب والنقم. وأخبر أن كفارة الطيرة أن يقول «اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك».

قوله (وعلى ربهم يتوكلون): أي يعتمدون على الله ويفوضون أمورهم إليه فهذا شأنهم فهم معتمدون على الله واثقون به ويعلمون أنه لن يصيدهم إلا ما كتب لهم ومع ذلك يبتعدون عن الشركيات وعن المكرورات كالكي والاسترقاء ثقة به واعتماداً عليه وحرصاً على كمال دينهم وسلامته.

فهذه صفات السبعين وهم الذين أدوا الواجبات، وتركوا المحرمات والشركيات، واعتمدوا وتوكلوا على الله، وفوضوا أمورهم إليه مع أخذهم بالأسباب المباحة لطلب الرزق والتجارة وأنواع الطب المباح لكن تركوا ما يحوجهم إلى الناس

كالاسترقاء أو ما فيه نوع تعذيب إذا لم يضطروا إليه، وابتعدوا عن بعض المباحث التي فيها نقص فجاز لهم الله بأن أدخلهم الجنة لا حساب ولا عذاب.

فائدة: الرقية بدون سؤال من الأسباب المباحة أما مع السؤال فتركه أولى عند عدم الحاجة لحديث «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً».

والرقية جائزه بشروط ثلاثة:

الأول: أن يكون بلسان معروف المعنى.

الثاني: وأن لا يكون فيه محظوظ من جهة الشرع.

الثالث: أن يفعل ذلك طلباً للشفاء من الله ولا يعتمد على الأسباب نفسها فلا بأس بالرقية على هذا الوجه.

وهكذا يجوز الكي عند الحاجة وتركه أولى لما فيه من التعذيب.

أما الأسباب الأخرى فلابد منها فلابد أن يأكل ويشرب ويطلب الرزق ويعمل الواجبات طلباً للجنة ويزدر من الواقع في المحرمات. أما الأسباب التي فيها نقص كالكي والاسترقاء فتركه أولى.

قوله (سبقك بها عكاشة): قال سداً للباب لثلا يقسم من ليس أهل. وأخذ العلماء منه جواز استعمال المعاذير وهي الكلمات التي تسد باباً لا يحمد عقباه فيستعملها من دون أن يتعرض لإهانة أحد أو فضيحته.

- ولا بأس للإنسان أن يرقى نفسه، لكن طلب الرقية من الغير تركه أولى.

- ولا بأس بأن يسأل الإنسان من أخيه أن يدعوه له كما جاء في الحديث: لا تنساناً من دعائك.

- انتهاء الأسباب الضارة مشروع: كعدم الورود على المريض مرضًا معدياً. فيتقى مخالطته كما في الحديث (لا يورد مرض على مصح) وإذا خالطهم ثقة بالله واعتماداً عليه لإيضاح الإيمان فلا بأس. وثبت أنه عليه أكل مع مجذوم وقال «قل باسم الله ثقة بالله».

ولا بأس بالقراءة على الماء والنفث فيه وثبت أن النبي عليه نفث في ماء ثابت ابن قيس. والقراءة تكون مما تيسر من القرآن أ. ه.

٤- باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [الناد: ٤٨، ١١٦].

وقال الخليل عليه السلام: «وَاجْنِنْيَ وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» [ابراهيم: ٣٥]. وفي الحديث «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرُكُ الْأَصْفَرُ. فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: الرِّيَاءُ». وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من مات وهو يدعُو من دون الله ندماً دخل النار). رواه البخاري.

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة). ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار).

أي باب وجوب الخوف من الشرك فيجب على المؤمن أن يخاف من الشرك والمعاصي بيتعد عنها وخاصة الشرك ولا يأمن من ذلك على نفسه. والشرك: هو تشريك غير الله في العبادة أيًا كانت ولذلك سمي شركاً. والعبادة حق لله وحده.

وأعظم من ذلك صرف العبادة كلها لغير الله عز وجل. قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ». فيه بيان عظم الشرك وخطورته لأن الإنسان إذا مات عليه لم يغفر له بل هو خالد مخلد في النار بخلاف سائر المعاصي فهي تحت المثلثة إن شاء عذبه بقدرها ودخل الجنة وإن شاء غفرها له، أما الشرك فقد قال تعالى «إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

وقول الخليل عليه السلام «وَاجْنِنْيَ وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ». هذا فيه خطورة الشرك لأن سيد الأنبياء بعد نبينا كان يخاف من الشرك فوجب التأسي بهم وأن تكون أولى بالخوف منهم.

الآصنام: هو ما نحت على صورة كصورة إنسان أو حيوان. والمشرون كانوا أقساماً: منهم من يعبد الآصنام ومنهم من يعبد غير الآصنام.

كالشجر والبحر والشمس والقمر وكلهم يجمعهم؛ صرف العبادة لغير الله عز وجل ويطلق على الصنم: وثن.

وفي الحديث «أخواف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه فقال: «الرياء». هذا الحديث رواه أحمد بإسناد جيد عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ قوله شواهد قوية كلها تدل على وجوب الحذر من الرياء وأنه خطير ويبيّن به الصلحاء لأنّه قد يرائي بصلاته ورثاته وأمره بالمعروف ونهيّه وفي الحديث: (من سمع سمع الله به ومن راءى الله به). وتمام الحديث: «أن الله يقول للمراتين يوم القيمة اذهبوا إلى من كتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء» والرياء مصدر راءى يرائي.

وفي الحديث: «يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم. فيجب على الإنسان أن يخلص لله وحده. وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال «من مات وهو يدعوه من دون الله ندأ دخل النار» رواه البخاري.

ندأ: أي شبهاً ونظيراً يدعوه مع الله ويستغبّث به فهو مخلد في النار وفي رواية قال ابن مسعود: وقلت: (ومن مات وهو لا يدعوه من دون الله ندأ دخل الجنة) أي من مات على التوحيد دخل الجنة. فاتخاذ الأنداد من أسباب دخول النار، ومعنى اتخاذ الأنداد تشريك غير الله معه في العبادة من الصالحين والآباء أو شجرًا أو حجرًا. ولمسلم عن جابر مرفوعاً «من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

وفي خطورة الشرك ووجوب الخوف منه وحذره.

والحديث فيه موجبتان: الأولى: أن من لقى الله لا يشرك به دخل الجنة. والثانية: أنه من لقيه وهو مشرك دخل النار.

ولذا في لفظ آخر قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بالموجبتين» قالوا: بلى، قال: «من لقى الله».

٥- باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ - الآية» [يوسف: ١٠٨]. عن ابن عباس رضي الله عنهما (أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنَ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلَيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَذَعُّهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). وفي رواية: (إِلَى أَنْ يُوْحَّدُوا اللَّهُ - فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكُمْ لِذَلِكَ فَاعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكُمْ لِذَلِكَ فَاعْلَمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاهُمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكُمْ لِذَلِكَ فَإِيَّاكُمْ وَكَرَامَتِكُمْ أَمْوَالَهُمْ. وَأَتَقْ دُعَوَةَ الْمَظْلُومِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابَ أَخْرَجَاهُ).

ولِهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْرٍ (لَا يُغْطِيَنَّ الرَّأْيَةَ غَدَارَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يُفْتَحُ اللَّهُ عَلَىٰ يَدِهِ. فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوْكُونَ لِيَلَّتَهُمْ. أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوًا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: أَيْنَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَيْلٌ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنِيهِ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأَتَىٰ بِهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنِيهِ وَدَعَاهُ... فَبَرَىٰ كَانَ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجْعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّأْيَةَ: فَقَالَ: أَنْفَذْ عَلَىٰ رَسُلِكَ، حَتَّىٰ تَنْزَلَ بِسَاحِتِهِمْ، ثُمَّ أَدْعُهُمْ إِلَىِ الْإِسْلَامِ. وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا يَجْبُ عَلَيْهِمْ مِّنْ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِيهِ فَوْا هُنَّ لَا يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرًا لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعْمَ) يَدُوْكُونُ: أَيْ يَخْوُضُونَ.

أي باب وجوب فضيلة الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لأنها أختها.

فمراد المؤلف الدعوة إلى التوحيد وإلى اتباع الرسول وهذا واجب على العلماء وفرض عليهم.

وهذا أخذ المؤلف من الكتاب والسنّة كقوله «ادع إلى سبيل ربك» «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي»، «وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِنْ دُعَا إِلَى اللَّهِ».

فالواجب أن يدعو العلماء إلى توحيد الله والإخلاص له وترك الإشراك معه والى الإيمان بالرسول ﷺ وتصديقه واتباع ما جاء به وترك مخالفته. **﴿Qul hinde Sabili adu ilá illá ilá bصíra﴾ الآية.**

الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأمته. أي: قل هذه طريقي ومحجتي التي أنا عليها من توحيد الله والإخلاص له وإيتاء الزكاة وغيرها. وهذا هو سبيل الله وصراطه المستقيم وهو الإسلام والهدي والإيمان.

- أدعوا إلى الله: لا إلى ملك أو حظ أو مال أو شأن من شئون الدنيا بل إلى توحيد الله واتباع شرعيه.

- على بصيرة: على علم وهدى. ومن اتبعني: أي أتبعني كذلك يدعون على بصيرة. فأتباعه هم أهل البصائر والعلماء الذين يدعون ودعوتهم على بصيرة، ومن لم يدع إلى سبيل الله من العلماء فليس من أتباعه على الحقيقة. فأتباعه لا يسكتون ولا يدعون على جهة كلامه كما قال تعالى **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾** أي بالعلم وهذه هي وظيفة الأنبياء كلهم والعلماء والصالحين وهذا هو الواجب على من عنده علم ويدعو في كل مكان في المسجد وغيره ويصبر.

* حديث ابن عباس أن رسول الله لما بعث معاذًا إلى اليمن قال ...
قال له: أي أوصاه.

- إنك تأتي قومًا أهل كتاب: أي فليسوا جهالًا بل عندهم علوم وشبه فنبه ليستعد لهم وليلبلغ لهم أمر الله.

قوله (فليكن أول ما تدعوهم إلية شهادة أن لا إله إلا الله): أي لا تلتفت إلى شبههم وعلومهم بل بلغهم التوحيد وإلى أن يوحدوه وأن يخصوه بالعبادة دون غيره كالعزيز وعيسي وأحبارهم ورهبانهم. وفي رواية (عبادة الله) وهي تفسير لشهادة أن لا إله إلا الله.

قوله (فإن أطاعوك لذلك): أي أخلصوا العبادة وتركوا غيره.

قوله (فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات...). هذا يدل على أن

الشرك يدعى أولاً إلى التوحيد فإن أجبت دعي إلى الصلاة فإن أجبت وأقامها دعي إلى الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء. وذكر الفقراء هنا يدل على أنهم أهم الأصناف لذلك بدأ بهم في الآية **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ...﴾**.

قوله **﴿فَإِنْ أَجَابُوكُمْ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾** : أي لا تأخذ الأموال الشفينة عندهم بالقوة بل الوسط - لأن الأموال : كريمة ومتوسطة ولثيمة - إلا إن طابت نفسه بالكريمة فهو أفضل لهم.

- واتق دعوة المظلوم : أي احذر أن تظلمهم فيدعون عليك فتصيبك دعوتهم .
ودعوة المظلوم مستجابة .

ولم يقتصر على هذه الأمور الثلاثة لأنها أهم الأمور ، ومن أجب إليها أجب إلى ما سواها من الحج والعصوم وغيرها لأنهم إذا استجابوا للأمور الثلاثة المتقدمة فإن إجابتهم عن إيمان وقناعة وهذا الإيمان يدفعهم إلى بقية الشرائع .

ولذلك اقتصر عليها القرآن **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾** **﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حَنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَؤْتُوا الزَّكَاةَ...﴾**

وفي الحديث : «أمرت أن أقاتل الناس حتى...» فالالأصول الثلاثة هذه هي الأم .

* ولهمما عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: لاعطين الرأية غداً رجلاً .

وخصوص الصحابة في من يعططها ومتى لهم لها لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر تعين أن هذا الرجل بعينه يحب الله ويحبه الله ففيها زيادة فضل ومزية ولذا قال عمر: ما أحبت الإمارة إلا يومئذ .

قوله فبرا: فيها فائدتان: إنها من علامات صدق النبي عليه الصلاة والسلام .
وهي آية من آيات الله الدالة على قدرته العظيمة .

قوله على رسلك: أي على مهلك .

قوله بساحتهم: أي بقربهم ليكون أشجع للمؤمنين وأرهب للأعداء .
أما بعيد فيضعف الجند ويشجع الأعداء .

قوله ثم ادعهم إلى الإسلام: ولو كانوا قد دعوا من قبل من باب إقامة الحجة

وكمال المعندة وهذا يدل على أنه ينبغي الاهتمام بالدعوة والحرص عليها قبل القتال ولو كانوا قد دعوا لعلهم يهتدون. ويستحب التكرار إذا دعت الحاجة خاصة من اليهود الذين يعرفون الحق ولكنهم يحبون الدنيا ويحسدون المؤمنين.

قوله ففتح عينه: متقبة أخرى لعلى رضي الله عنه.

قوله (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك...) فيه عظم الدعوة إلى الله وأنها أهم من القتال بل هي المقصودة من القتال ولذلك بعثت الرسل.

قوله (حمر النعم): بضم الحاء وسكون الميم جمع أحمر. لا بضم الحاء والميم جمع حمار فليس مراد هنا. والمعنى أي خير لك من الإبل الثمينة. وفيه بيان أهمية الدعوة وتعليم الناس، فإن أبوا قوتلوا ليكف شرهم ولا يكونوا عقبة في طريق غيرهم إلى الإسلام ويستعان بهم ويأموهم في سبيل الله.

قوله (لأن يهدي الله بك رجلاً واحد خير لك): لا مانع من أن يعم الحديث حتى المسلم العاصي.

ويجوز أن يساعدتهم بالحرب إن بلغتهم الدعوة كما أغار النبي ﷺ علىبني المصطلق وإن تكررت الدعوة قبل القتال للمصلحة فلا بأس. وفيه جواز القسم وإن لم يحلف لتأكيد أمر، وقد يشرع ويستحب عند الحاجة لتأكيد أمر حتى يعلم المخاطب أنه حق.

٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَسْتَغْوِنُونَ إِلَيْ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ» الآية [الاسراء: ٥٧].

وقوله: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّاَ الَّذِي فَطَرَنِي» الآية [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقوله: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللهِ» الآية [التوبه: ٣١].

وقوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبِ اللهِ» الآية [البقرة: ١٦٥].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ قَالَ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبُدُ مِنْ دُونَ اللهِ حُرُمٌ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ).

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.
فيه أكبر المسائل وأهمها -

وهي تفسير التوحيد - وتفسير الشهادة.

وبيَّنُهُما بأُمورٍ وأَضْحَى -

منها آية الإسراء. بينَ فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أنَّ هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها آية براءة بينَ فيها أنَّ أهل الكتاب اتخذوا أخبارهم ورهاة أرباباً من دون الله.

وبيَّنُ أنَّهم لم يُؤْمِرُوا إِلَّا بِأَنْ يَبْعِدُوا إِلَيْهَا وَاحِدًا معَ أنَّ تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية، لا دعاءهم إياهم.

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار «إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّاَ الَّذِي فَطَرَنِي» فاستثنى من العبودين ربه.

وذكر سبحانه أنَّ هذه البراءة وهذه الموالة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله
فقال (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبَةٍ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم «وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ» ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟.

ومنها قوله ﷺ (من قال لا إله إلا الله وَكَفَرَ بِمَا يُبَعْدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَمَ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ).

وهذا من أعظم ما يُبَيِّنُ مَعْنَى - لا إله إلا الله - فَإِنَّه لَمْ يَجْعَلِ التَّلْفُظَ بِهَا عَاصِمَا لِلَّدْمِ وَالْمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةً مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا إِقْرَارَ بِذَلِكِ، بَلْ وَلَا كُونَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرِمَ مَالَهُ وَدَمَهُ حَتَّى يَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفَّارُ بِمَا يَبْعُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ شَكَ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرِمَ مَالَهُ وَلَا دَمَهُ، فِي الْهَاجِرَةِ مِنْ مَسَأَةِ مَا أَعْظَمُهَا وَأَجْلُهَا، وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانِ مَا أَوْضَحَهُ، وَحِجَّةٌ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمَنَازِعِ.

بين المؤلف هنا تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بما يوافق لفظها وبما يضادها لأن الشيء يُعرف بضاده وقد قيل: والضد يظهر حسنة الضد، وبضادها تمييز الأشياء، وذكر هذا الباب لتعرف حقيقة التوحيد، وحقيقةه: هو إفراد الله بالعبادة وتخصيصه بها وبجميع أنواع العبادة. فتؤمن بذلك بالقلب وتعمل بالجوارح.

وقوله (وشهادة أن لا إله إلا الله): هذا من باب عطف الدال - الشهادة - على المدلول وهو التوحيد. فالتوحيد هو شهادة بالله وحده.

قوله تعالى «أولئك الذين يدعون بيتغدون إلى ربهم الوسيلة أقرب» .

وبقائه قوله « قل ادعوا الذين زعمتمهم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا» فدعاء من لا يملك كشف الضر أو جلب النفع من دون الله هذا هو الشرك وضاده هو التوحيد فقوله (قل ادعوا) أي قل يا محمد هؤلاء ادعوا الذين زعمتمهم - توبين لهم وتقرير - أي ادعوا آلهتكم الذين تدعون من دون الله «فلا يملكون كشف الضر» أي الضر كله (ولا تحويله) ولا تحويله من مكان إلى آخر من

الرأس إلى الرجل مثلاً. بل هذا الله وحده هو الكاشف للضر والجالب للنفع. قوله (أولئك الذين يدعون): أراد بهم من يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين لذلك قال (يتبغون إلى ربهم الوسيلة) أي هؤلاء المدعون صالحون في أنفسهم ومع ذلك لا يملكون كشف الضر ولا تحويله، فغيرهم من الأصنام من باب أولى. والوسيلة: التقرب إلى الله بالطاعة «أيهم أقرب» أي يجهدون إلى الله بتوصيلهم وعبادتهم له بأنواع الطاعات «وירجون رحمته ويخافون عذابه» لأنهم عبيده ويرجونه ويخافونه فكيف يستغاث بهم؟.

قوله «إذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني» هذا تفسير التوحيد بمعناه فقوله «إني براء مما تعبدون» كقولنا: لا إله، قوله إلا الذي فطرني كقولنا إلا الله، والنطر: الخلق.

فيين أن معنى التوحيد البراءة من عبادة غير الله وإنكارها واعتقاد بطلانها والرد عليها والتوحيد لله وحده بجميع أنواع العبادات.

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب: قوله «اتخذوا أighbors وربانهم أرباباً من دون الله».

بين أن هذا شرك بالله، وأن التوحيد هو أن لا يعبد إلا الله لا راهب ولا حبر ولا نبي ولا صالح. خلافاً لما فعله اليهود من اتخاذ الأighbors. والنصارى من اتخاذ الرهبان أرباباً بحيث يحلون ما أحلوا ويحرمون ما حرموا بدون دليل وإن خالف شرع الله وما جاءت به الرسل فصاروا بهذا عابدين لهم. لأنهم أطاعوهم فيما خالف الشرع وقدموه عليه كما في حديث عدى بن حاتم (قتلك عبادتهم) ويسير بذلك مشركاً كما قال بعد ذلك (سبحانه عما يشركون).

فائدة: بالنسبة لأصحاب القبور فقد اتخذوهم القبوريين آلهة من دون الله والواجب أن يبين لهم الحق لأن عملهم كفر من أعظم الكفر ولكن لا يقتلون بل يبين لهم الحق لإقامة الحجة عليهم فإن أصرروا قتلوا إن يسر الله من يقيم ذلك عليهم.

قوله ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يَحْبُونَهُمْ كَحْبِ اللَّهِ ﴾ الآية .
هذا أيضًا من تفسير التوحيد بضدِّه وهو عن الذين يتَّخِذُونَ أَنْدَادًا يَحْبُّهم
ويعظِّمُهم ويَدْعُوهم ويَسْتَغْثِيُّهم أو يَحْبُّهم حَبًّا خاصًّا يَقْتَضِي عِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ هَذَا هُوَ الشَّرْكُ الْأَكْبَرُ ، وَاللَّهُ ذُمْ هُؤُلَاءِ وَتَوْعِدُهُمْ بِالنَّارِ كَمَا فِي آخِرِ الْآيَاتِ
﴿ كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ .

* وفي الصحيح مرفوعًا: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم
ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» رواه مسلم عن سعد بن طارق الأشجعى .
وقوله «من قال لا إله إلا الله» وفي رواية: من وحد الله . وهذا يبين معنى لا
إله إلا الله وأنه هو التوحيد .

قوله (كفر بما يعبد من دون الله): أنكر كل ما يعبد من دون الله واعتقد ذلك
بقلبه «حرم ماله ودمه»: أي صار مسلماً ويلزمه القيام بشرائع الله .
«وحسابه على الله»: فإن كان صادقاً فله الجنة وإن قالها بلسانه لا بقلبه فهو
من المنافقين حكمه حكمهم في الدنيا وفي الآخرة في النار أهـ .

٧- باب من الشرك لبس الخيط والحلقة ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه
وقول الله تعالى «قُلْ أَفَرَءِتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بُضُرُّهُ هَلْ هُنَّ كَاسِفَاتُ ضُرُّهُ» الآية [الزمر: ٣٨].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من
صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهننا. فإنك
لو مُتْ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبْدًا) رواه أحمد بسنده لا بأس به.
وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً «مَنْ تَعْلَقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعْلَقَ وَدَعَةً
فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ».

وفي رواية «مَنْ تَعْلَقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الخمي فقطعه وتلا
قوله «وَمَا يَؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» [يوسف: ١٠٦].

لم يقرأ على الشيخ.



٨- باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح: عن أبي بشير الأنباري رضي الله عنه: (أنه كان مع رسول الله ص في بعض أسفاره، فأرسل رسوله أن لا يبقين في رقبة ص بغير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت).^١

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ص يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «من تعلق شيئاً وكل إليه» رواه أحمد والترمذى.
«التمائم شيء يعلق على الأولاد يتقوون به من العين. ولكن إذا كان المعلقُ من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه و يجعله من المنهى عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

«والرقى» هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ص من العين والحمى.

«التولة» هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رُويفع قال: قال لي رسول الله ص: «يا رُويفع لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أنَّ من عقد لحيته أو تقلَّد وترًا أو استنجى برجع دابة أو عظم فإنَّ مُحَمَّدًا بري منه».

وعن سعيد بن جبير قال:
«من قطع تَمِيمَة إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدَلَ رَقْبَة» رواه وكيع.
وله عن إبراهيم قال:
 كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.

أي النصوص التي جاءت في تحريم التمائم والتفصيل في الرقى. لأن التمائم جنسها محرم وبعضهم فصل فيها وال الصحيح أنها محرمة.

والتمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين. وقد دلت الأدلة على تحريمها كما سيأتي للمريض وللأطفال.

أما الرقي ففيها تفصيل: فتتجوز بثلاثة شروط :

١- أن يكون بلسان مفهوم المعنى بالأيات والدعوات المعروفة.

٢- أن لا يخالف ذلك المعنى الشرع.

٣- أن لا يعتقد أنها تنفع بسببيها وفي الحديث « لا بأس بالرقية ما لم تكن شركاً » وتقديم.

التولة: عرفها المؤلف. ويصنونه بالجن والشياطين ويسمونها سحر وعطف وصرف، والسحر كله كفر للآية « إنما نحن فتنة فلا تكفر ».

* قوله في حديث عبد الله بن حكيم مرفوعاً (من تعلق شيئاً وكل إليه) رواه أحمد.

فينبغي للإنسان أن يعتمد ويتوكل على الله وحده فهذا هو الذي ينفعه مع الأخذ بالأسباب كما في الحديث « احرض على ما ينفعك واستعن بالله » فالأخذ بالأسباب أمر لازم من الأدوية والاستقامة على شرعه وتعاطي أسباب العافية وطلب الرزق. فالأسباب ما بين الواجب والجائز فعليه أن يتعاطى الأسباب الجائزة والواجبة والأخذ بذلك لا يقدح في التوحيد بل تركها يقدح في العقل والتوحيد جميعاً.

وإن كانت التماميم من القرآن فرخص فيه بعضهم كعبد الله بن عمر ومنه آخرون كعبد الله بن مسعود وهو الصواب وعليه تدل الأدلة والواجب حسم هذا الباب والقضاء عليه بالكلية سداً لذرائع الشرك وعملاً بالأدلة.

ولا ينبغي تعليق التماميم على الأولاد بل يعوذهم كما عوذ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الحسن والحسين بأدعية التعوذ.

والكتابة في الورق والصحن فعله بعض السلف وروي عن ابن عباس ولكن لم يثبت ولا بأس به ذكره ابن القيم في الزاد ولكن الرقة أفضل.

والتداوي لا بأس به وفي الحديث « عباد الله تداوا ولا تتددوا بحرام » وأصح ما فيه الاستحساب، وقال مالك هو مستوى الطرفين أي مباح.
وروى أحمد عن رويفع قال: (يا رويفع لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس...) وفيه أربع مسائل:
قوله: (لعلها تطول بك): هذا على سبيل الظن والرجاء وقد طالت به الحياة
ومتع.

١) قوله (عقد لحيته): قال أهل العلم معناها: جعدها ونفعها للتكبر والتعاظم
وقيل أي صفعها تصفيقاً يناسب ميوعة النساء وأهل التختنث.
أما العناية بها تسريراً وتكريراً فهذا ليس منه. والحديث فيه لين وله شواهد.
٢) قوله (تقلد وترأ): وهو ما يتخذ من الأمعاء وغيره وكانت الجاهلية تقلد
الإبل والصبيان حذر العين.

قوله (أو استتجى برجيع دابة أو عظم): جاءت الأحاديث بالنهي عن
الاستنجاء بهما لأنهما لا يطهران وفيه تشبه بالجاهلية.

قوله (فإن محمداً برئ منه): وعيد شديد وليس معناه أنه مشرك مثل قوله
(ليس منا من ضرب ...) والشاهد هو النهي عن تعليق الأوتار وغيره مما يظنه
ينفع كالخيط، والواجب أن يتعلق بالله وحده.

* وعن سعيد قال: «من قطع تميمة من إنسان كان له كعدل رقبة» رواه وكيع.
وكيع ابن الجراح توفي سنة (١٩٦).

وفي الحديث فضل قطع التمام وأنه كعدل رقبة لأنه سيخلص هذه الرقبة من
النار ومن الشرك فيكون أفضل من عتق الرقبة، وكلام سعيد قد يكون له سند وفيه
واسع لأن سعيد قد لا يقول هذا برأيه، ويحتمل أنه من اجتهاده وفقهه.

ولكنه عند التحقيق والنظر هو أعظم من عتق الرقبة التي يكون بها الإنسان
حرّاً وتعليق التمام من الشرك الأصغر وخطره عظيم وقد يجر إلى الشرك الأكبر.
- وله عن إبراهيم قال كانوا يكرهون التمام كلها من القرآن وغير القرآن.

ابراهيم بن يزيد النخعي من التابعين من أصحاب أصحاب ابن مسعود يكرهون التمام وكذلك شيخهم ابن مسعود يكره ذلك لسبعين :

- ١- لعموم الأحاديث النافية.
- ٢- سداً للذرائع الموصلة إلى الشرك. فلا يعلق مصحف ولا آيات منه ولا أحاديث ولا طلasm ولا عظام فكله شرك.

مسألة: لا يجوز وضع مصحف في السيارة بقصد حفظها من المصائب وكذا وضع حيوانات في السيارة وغير ذلك أ.ه.



٩- باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعَزَى» الآيات [النجم: ٢٢-١٩].

عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بکفر! وللمشركون سدرة يعکفون عندها وينطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط! فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط! كما لهم ذات أنواط. فقال ﷺ: «الله أكبير إنها السنن قلت -والذى نفسى بيده- كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اجعل لنا إلهاً كمَا لَهُمْ أَلَهٌ»، قال إنّكُمْ قومٌ تَجْهَلُونَ» [الاعراف: ١٣٨] لترکبُنَّ سُنَّ منْ كَانَ قَبْلَكُمْ» رواه الترمذى وصححه.

نحوها: كالقبر والصنم وغيرها.

التبرك: هو طلب البركة منها كما يفعل عباد القبور والأحجار والأصنام.

وترك الحكم ليأخذه الطالب ما ذكره من النصوص. والحكم هو أنه قد أشرك

لما سيدرك المؤلف. وهذا التبرك من فعل الجاهلية وجاء الإسلام فابتطل ذلك.

فمنهم من أجاب وهم قلة ومنهم من أعرض وهم كثرة «وما أكثر الناس ولو

حرست بِمُؤْمِنِينَ» أما في الجزيرة فقد أجاب أكثرهم بعدما فتح الله مكة.

* قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتَمُ اللَّاتَ وَالْعَزَى وَمِنَةَ الشَّالِهَةِ الْأُخْرَى أَلَمْ ذَكَرْ وَلَهُ

الْأَنْشَى تَلْكَ إِذَا قَسْمَةَ ضَيْزِي».

أرأيتم: أي هل نفعت هذه الأصنام أم ضررت، والمعنى أنها لم تنفع ولم تضر وكانتوا يسألونها ويتبركون بها ويستغثون فابتطل الإسلام ذلك. وكان العزى لأهل

مكة ومن سايرهم، منة لأهل المدينة، اللات لأهل الطائف ومن نهج منهجهم. وقد أزيلت هذه الأصنام يوم فتح مكة لكن أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث

قال: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى».

* حديث أبي واقد قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن ...

قوله (نحن حدثاء عهد بکفر): قربيو عهد بکفر وهذا كالعذر أي ولهذا جهنا الأمر.

سدرة: شجرة النبق.

يعكفون: يقيمون عندها.

ينتوطون: أي يعلقون بها أسلحتهم للتبرك والبركة التي تحصل لها على رعمهم أنها تكون أمضى للسيف وأقوى وأشد.

اجعل ذات أنواع: أي لتبرك بها وتعلق سيفنا عليها للبركة.

الله أكبر: وهذا من عادته عَزَّلَهُ اللَّهُ عَزَّلَهُ إذا رأى شيئاً ينكر قال الله أكبر أو سبحان الله وهذا من السنة أن يقول الإنسان ذلك عند الإنكار وكذلك عند الإعجاب بشيء كما في الحديث: «وأنتم ربع أهل الجنة» قالوا فكبّرنا.. إنها السنن: أي عبادة الأشجار والأحجار والتبرك بها هي السنة المعروفة عند الناس السابقين أي هي طريقة الناس قديماً ودائماً.

بني إسرائيل: وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وبنوه هم اليهود ومن انتسب إلى إسرائيل.

اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة: هذا قاله اليهود لموسى فرد عليهم موسى وذكرهم بالتوحيد، وهكذا هؤلاء تأسوا بأولئك جهلاً ولم يكونوا يعرفون حكمه لأنهم حدثاء عهد بـكفر.

وهذا يدل على أن الاعتبار بالحقائق لا بالألفاظ لأنهم طلبوا شيئاً يغاظمونه ويتبكون به كما فعل بنو إسرائيل وإن اختلفت ألفاظ الفريقين فالباطل باطل وإن اختلفت ألفاظ.

لتركب سنن من كان قبلكم: بضم السنين ويفتحها. وهي الطرق.

أي أن هذه الأمة ستبتلى بما ابتليت به الجاهلية من عبادة القبور والأحجار والتبرك بها وهذا حصل. وقاله عليه الصلاة والسلام أخباراً بأنه سيقع فحذر منه وأن الواجب هو الثبات على عبادة الله وحده كما فعل الأنبياء أما التبرك بالقبور وغير الله فهذا من فعل اليهود والنصارى وأهل الكفر.

١٠- باب ما جاء في الذبح لغير الله
وقول الله تعالى «**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ**» الآية [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وقوله «**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ**» [الكوثر: ٢].

عن عَلَيِّ رضي الله عنه قال: «**حَدَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِارْبَعِ كَلْمَاتٍ: لَعْنَ اللهِ مِنْ ذَبْحٍ لِغَيْرِ اللهِ، لَعْنَ اللهِ مِنْ لَعْنٍ وَالدِّيْهِ، لَعْنَ اللهِ مِنْ آوَى مُحَدِّثًا، لَعْنَ اللهِ مِنْ غَيْرَ مَنَارِ الْأَرْضِ**» رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذَبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذَبَابٍ. قَالُوا كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجْحُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يَقْرُبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَهْدِهِمَا قَرْبًا فَقَالَ لِيْسَ عَنِّي شَيْءٌ أَقْرَبُ قَالُوا لَهُ: قَرْبٌ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرْبَ ذُبَابًا، فَخَلَوْا سَبِيلَهُ فَدَخَلَ النَّارَ وَقَالُوا إِلَّا خَرَقَ قَرْبًا. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لَأَقْرَبُ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَضَرَبُوا عَنْقَهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ**» رواه أَحْمَد.

أي ما جاء فيها من الوعيد وأنها من الشرك الأكبر كما دلت الأدلة.

وقوله تعالى «**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**».

قل: يا محمد. نسكى: ذبحى، وقيل: تعبدى ويشمل الذبح.

ومحيي وماتى: أي ما أحيا عليه وأموت من العبادات والأعمال هي لله وحده وتبيّن الآية أن الذبح عبادة وأنها لله ولا تنبغي أن تكون لغيره.

ومن ذبح لغيره من الجن والأصنام والقبور فهو كمن صلبى وعبد غير الله لأن

كل من الصلاة والذبح عبادة حيث قرن الله بينهما. وبذلك (أمرت) أمره الله.

قوله تعالى «**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ**».

أي صلِّ لله وانحر له شكرًا على نعمة نهر الكوثر.

وهذا يدل على أن النحر والصلاحة عبادة لأنه أمر بهما فمن نحر لغير الله فقد

أشرك.. كما لو صلى لغير الله فمن ذبح للصنم والجن وغيرهم فقد أشرك.
* عن على رضي الله عنه قال حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات «لعن الله من ذبح لغير الله».

من ذبح لغير الله: وبدأ بها لأن الشرك أعظم الذنوب. واللعن: الطرد وهذا يدل على أنه من الكبائر الشركية كما في الحديث «أكبر الكبائر الشرك بالله».
لعن من لعن والديه: وهذا من الكبائر أيضاً. ومن هذا أن يلعن غيره فيلعن الآخر والديه فيكون سبباً في لعن والديه كما في حديث عبد الله بن عوف في الصحيحين «من الكبائر شتم الرجل والديه». فقيل يا رسول الله وهل يسب الرجل والديه؟ قال: «نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».
وسب الناس من الكبائر إن كان بغير حق وفي الحديث «سباب المسلم فسوق وقفاله كفر» وروى البخاري من حديث ثابت بن الضحاك قول الرسول عليه الصلاة والسلام «لعن المؤمن كقتله» وأخرج مسلم «أن اللعنين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيمة».

آوى محدثاً: أي من آوى أهل البدع والمعاصي ونصرهم فإنه ملعون.
وكذلك من يمنع من إقامة الحد عليهم، ومن يقيم البدع وينصرها.
غير منار الأرض: المنار: المراسيم سميت منار لأنها تميز وتبيّن وتعرف حدود الأرضي وتدل عليها فالذي يغيرها ملعون لأنها قد يؤدي إلى المشاكل والمصائب والمقاتلة.

ويتحقق به ما يرشد الناس إلى الطرق والبلدان والمياه فمن غيرها فهو داخل في اللعن.

حديث طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال دخل الجنة رجل في ذباب..
وطارق من صغار الصحابة وغالب روايته من طريق أبي موسى الأشعري فهي مرسلة صحيحة فمرسل الصحابي صحيح.
قوله في ذباب: أي بسبب ذباب فـ «في» للسببية.

الصنم: ما نحت على صورة وما ليس له صورة يقال له وثن ويطلق على الأصنام أو ثان أيضًا.
لا يجوزه: لا يتعداه.

ليس عندي شيء أقرب: فاعتذر بأنه ليس معه شيء يقرب ولم ينكر ذلك فطمعوا فيه فأمروه أن يقرب ولو ذباباً فدخل النار. وهذا يدل على أن التقريب للأصنام وغيره ولو كان شيئاً حقيقة فهو من الشرك لأن الذبح والتقريب لا يجوز إلا لله.

وقال الآخر: ما كنت أقرب شيئاً إلا لله: فهذا أعرض وبين أنه لا يجوز وامتنع فدخل الجنة. وهذا يحتمل أمرين:
الأول: إما أن شريعتهم ليس فيها عذر بالإكراه ولهذا لم يأخذ بالرخصة ويتخلص من شرهم.

الثاني: يحتمل أنه ترك الرخصة وأخذ بالعزيمة لقوة إيمانه ويقينه فقتلواه.
وفي شريعتنا أن من أكره على الشرك ففعل ما أكره عليه بقصد التخلص من شرهم ولم يطمئن قلبه بذلك فلا حرج لقوله تعالى «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» فیأخذ بالرخصة حتى لو قال الكفر بمسانده.
وحدث طارق رواه أحمد في الزهد وذكره ابن القيم بسنده جيد أ.ه.

١١- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى « لا تَقْمِ فِيهِ أَبْدًا » الآية [١٠٨:٨].

وعن ثابت بن الصحّاح رضي الله عنه قال: « تَنَزَّرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحِرَ إِبْلًا بِسُوانِهِ »، فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان المحاجلة يُعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عبادٌ أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلُكُ ابْنُ آدَمَ» رواه أبو داود واسناده على شرطهما.

أراد به لا يجوز للمؤمنين التشبه بأهل المعاشر ولا مشاركتهم في أماكن المعاشرة وفي أماكن تعبدهم ولو بغير الذبح حتى لا ينسب إليهم ويشاركونهم. فإذا ذبح في مكان يذبح فيه لغير الله فإنه قد ينسب إلى أهل السوء أو يظن به السوء والمؤمن يتبعه عن ذلك كله.

« لا تَقْمِ فِيهِ أَبْدًا ».

هذا نزل في مسجد الضرار وهو مكان بناء المناقون لإيواء بعض الكفارة ليكون حصناً لهم يجتمعون ويتعاونون فيه على قتال النبي ﷺ ولكنهم أخروا ذلك وأظهروا أنهم بنوا المسجد لإيواء الضعفاء والمساكين في الليالي الشاتية وطلبو من النبي عليه الصلاة والسلام أن يصلى فيه قبل ذهابه إلى تبوك ولكنه أجله إلى عودته ولما رجع وقبل المدينة أنزل الله ما يفضحهم وبين مقاصدهم الخبيثة، فبعث النبي عليه الصلاة والسلام من يهدمه.

فمعنى ذلك أن محلات الكفر والضلالة يجب التخلص منها وعدم إبقاؤها حتى لا يستعان بها على الفساد. واستدل به المؤلف على أن المكان المعد للذبح لغير الله أو الصلاة لغير الله أو معد للفسق والمعاصي يجب أن لا يبقى حتى لا يفسد المسلمين ولا ينسب إليهم وهذا قياس جلي والقياس ثابت كما في حديث: « فَلَعْلَكَ هَذَا نَزَعُهُ عَرْقٌ ».

عن ثابت بن الصحاح قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببواة فسأل الرسول..
ببواة: موضع بأسفل مكة ويقال أنها بالقرب من ينبع.

هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد وهل كان فيها عيداً من أعيادهم، خاف الرسول أن يكون خص المكان لأنه كان فيه وثن من أوثان الجاهلية أو عيداً من أعيادهم وهذا سيتأس بهم. فدل على أن المؤمن ينبغي أن يتبعد عن أماكن الجاهلية ولا يخصها بعبادة حتى لا يتشبه بهم وينسب إليهم. فلما أخبره أنه ليس فيها ذلك أمره أن يوفي بنتره فيدل على وجوب الوفاء بالنذر إذا لم يكن قصده مشابهة المشركين والكافرين وأشياهم.

فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله: كما إذا نذر أن يشرب الخمر فلا يوفي بنتره. واختلف العلماء في الكفاراة على قولين:

الأول: إنه نذر باطل ولا كفاراة عليه واحتجوا بعمومات ولكن جاء عدة أخبار تدل على وجوب الكفاراة وهو الراجح وهو القول الثاني.

ولا فيما لا يملك ابن آدم: كأن يقول الله على أن اعتق عبد فلان فنذر باطل. فالشاهد: أن المؤمن لا ينبغي أن يفعل الطاعة في مكان من أماكن الجاهلية والشرك والمعاصي إلا إذا غير هذا المكان وصار مسجداً مثلاً أو بيتاً وزالت عنه آثار الجاهلية ونسخت فلا بأس كما أمر النبي بهدم اللات وبناء مسجد مكانه فهذا يجوز التعبد فيه.

مسألة: إذا حصلت شرك أو بدع عند القبور فهذا لا يمنع من زيارتها الشرعية كما إذا حصلت المعصية في المسجد فلا يمنع من الصلاة فيه.

مسألة: أمر عمر بن الخطاب بالصلوة في الكنيسة لأنهم اتخذوها معبداً لله لكن عبادتهم ليست مستقيمة وفيها شرك وباطلة فلعل الشبهة أنهم اتخذوها معبداً لله أو أن المؤمنين مضطرون للصلوة فيها عند مرورهم منها عند أسفارهم فقد يكون للضرورة أو لأن جنس عبادة الله متفق عليها بينهم فيما يتعلق بالصلوة.

١٢ - باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى **﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾** [الإنسان: ٧].

وقوله **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرَتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾** [البقرة: ٢٧٠].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ

يُطِيعَ اللَّهَ فَلِيُطِيعُهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِيهِ».

أي من الشرك الأكبر وهو شرك الجاهلية وشرك عباد القبور الذين ينذرون لهم ويستغفرون بهم ويطلبون الخواج منهم وهو الذي بعث الأنبياء لإنكاره وهذا كان عند الجاهلية. أما الشرك الأصغر فهو كالرياء والخلف بالنبي وقول ما شاء الله وشئت.

وقوله **﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾**.

هذا مدح للمؤمنين الذين يوفون بالندور الطيبة الشرعية وهذا يدل على أن النذر عبادة يجب صرفها لله واحتصاصه بها سبحانه وحده.

وقوله **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرَتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾**.

أي أن الله يعلم نفقات العباد وندورهم فيجازيهم عليها إن كانت لوجه الله.

فدل على أن النذر عبادة حيث قرنه بالنفقات والنفقة عبادة إذا كانت لوجه الله كالصدقات على الفقراء والمساكين.

فإذا نذر وتصدق بشيء للقبر أو لبناءه أو لآلية معينة صار هذا شركاً أكبر بالله.

وفي الصحيح (من نذر أن يطع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي فلا يعصيه).

وهذا يدل على أن الطاعات يجب الوفاء بندورها كأن يقول الله على كذا. أما

المعاصي فلا يجوز الوفاء بندورها.

١٣- باب من الشرك الاستعاذه بغير الله
وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا﴾ [الجن: ٦].

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من نزل منزلًا، فقال أعوذ بكلمات الله التاماتِ من شرّ ما خلق، لم يضره شيءٌ حتى يرحل من منزله ذلك. رواه مسلم.

أي من الشرك الأكبر كبـيـة العبـادـاتـ التي صـرـفـها لـغـيرـ اللهـ شـرـكـ أـكـبـرـ. لأن الاستعاذه عـبـادـةـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ ﴿وـاسـتـعـاـذـ بـالـلـهـ﴾ ﴿قـلـ أـعـوذـ بـرـبـ النـاسـ﴾ ﴿قـلـ أـعـوذـ بـرـبـ الـفـلـقـ﴾ أما الاستعاذه بالـمـلـخـلـوقـ الـحـيـ الـحـاضـرـ الـقـادـرـ فلا بـأـسـ بـهـاـ كـمـاـ تـقـولـ لـرـجـلـ: أـعـوذـ بـكـ مـنـ غـلامـكـ أوـ أـبـنـكـ وـقـالـ تـعـالـىـ ﴿فـاسـتـغـاثـهـ الـذـيـ مـنـ شـيـعـتـهـ عـلـىـ الـذـيـ مـنـ عـدـوـهـ﴾ـ أما الاستعاذه بـالـمـلـيـتـ أوـ الـغـائـبـ أوـ الـحـجـرـ وـالـصـنـمـ فـهـوـ شـرـكـ أـكـبـرـ.

قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا﴾ـ نـزـلـتـ هـذـهـ فـيـ أـنـاسـ كـانـواـ يـعـوذـونـ بـسـادـاتـ الـجـنـ وـكـانـتـ الـعـرـبـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ إـذـاـ نـزـلـواـ مـنـزـلـاـ قـالـواـ (نـعـوذـ بـعـزـيزـ هـذـاـ الـوـادـيـ مـنـ سـفـهـاءـ قـوـمـهـ فـهـوـ كـانـ مـنـ عـمـلـ الـجـاهـلـيـةـ وـالـوـاجـبـ صـرـفـ كـلـ هـذـاـ اللـهــ).

زادـهـمـ: الـوـاـوـ لـلـجـنـ وـالـهـاءـ لـلـإـنـسـ أيـ زـادـ الـجـنـ إـلـيـنـسـ رـهـقـاـ وـهـوـ الـخـوفـ وـالـذـعـرـ. فـلـمـاـ خـافـ إـلـيـنـسـ مـنـ الـجـنـ تـكـبـرـ الـجـنــ.

وـقـالـ بـعـضـ السـلـفـ: الـوـاـوـ لـلـإـنـسـ وـالـهـاءـ لـلـجـنـ أيـ زـادـ إـلـيـنـسـ الـجـنـ رـهـقـاـ وـيـكـونـ مـعـنـيـ الرـهـقـ الـطـغـيـانـ وـالـاسـتـكـبـارــ.

وـكـلـ الـمـعـنـيـنـ حـقـ إـذـاـ تـعـوذـ إـلـيـنـسـ مـنـ الـجـنـ فـهـوـ تـعـظـيمـ لـلـجـنـ وـيـزـادـ الـجـنـ طـغـيـانـ وـتـكـبـرـ وـيـقـابـلـهـ خـوفـ إـلـيـنـسـ مـنـ الـجـنــ.

وـقـدـ ذـكـرـهـمـ اللـهـ فـيـ مـعـرـضـ الذـمـ فـيـجـبـ تـرـكـ فـعـلـهـمــ.

وعن خولة بنت حكيم قالت سمعت الرسول ﷺ «من نزل متولاً ف قال . . . يستحب قول هذا الدعاء عند نزول متول ويدل على فضل هذه الاستعاذه وأنها من أسباب العافية من شر الجن والإنس . وهكذا إذا ركب الطائرة أو السيارة أو القطار ونحوه . أن يقول ذلك . وجاء في حديث إنه يستحب تكرارها ثلاثة وكان النبي ﷺ إذا دعا ثلثاً .

كلمات : معناها أي كلمات الله النافذة والكونية التي لا راد لها .
وقال بعض السلف المراد بالكلمات : الشرعية وكلمات القرآن لأنها كلمات عظيمة شريفة وهي كلام الله . وكل هذا حق وكلها وصف له سبحانه .
فكلامه الكوني نافذ وكلامه الشرعي أفضل الكلام .

وفيه توسل بصفات الله . وبهذا استدل السلف على أن كلام الله غير مخلوق لأنه لا يجوز الاستعاذه بغير الله فدل الحديث على أن الكلام صفة من صفات الله ويجوز التعوذ به وإنه غير مخلوق .

لم يضره شيء : فنكرة في سياق النفي فتعم كل شيء .
وهذه يدل على فضلها فينبغي العمل بها .
والتعوذ بغير الله وبغير صفاته لا يجوز بالاجماع وأنه شرك .

١٤ - باب من الشرك أن يستغث بغير الله أو يدعوه غيره

وقول الله: **﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾** الآية [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقوله: **﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَبْعُدُوهُ﴾** الآية [العنكبوت: ١٧].

وقوله: **﴿وَمَنْ أَضْلَلَ مِنْ مَنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾** الآياتين [الإحقاف: ٥].

وقوله: **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيُكَشِّفُ السُّوءَ﴾** [النيل: ٦٢].

وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمان النبي ﷺ منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ: إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله.

هذا من عطف العام على الخاص لأن الاستغاثة من الدعاء فكل مستغث داعي وليس كل داع مستغث فالمستغث هو الذي يدعى عند شدة الكربة كما في الآية **﴿فَاسْتَغْاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى -﴾** **﴿إِذْ تَسْتَغْثِيُونَ رَبَّكُمْ﴾** فالذى يستغث عند المرض أو خوف الغرق بالرسول أو البدوى فهذا من الشرك الأكبر. وكان المشركون في الجاهلية يخلصون الدعاء لله في الشدائدين لأنهم يعلمون أنه لا ينجي إلا الله، أما مشركي زماننا فشركهم في الرخاء والشدة فالاستغاثة عند الشدائدين شرك أكبر ويسمى مستغثياً وإذا دعاهم في الرخاء يسمى داعياً وكلاهما شرك والأدلة هي:

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي من المشركين (والكافرون هم الظالمون) فيين الله أن من دعا من دون الله ما لا ينفع ولا يضر وهذا وصف عام لجميع المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر استغلالاً. ونفعها وضرها بالله وحده. وأن من دعا غير الله فهو مشرك ويستثنى من ذلك دعاء الحبي

القادر الحاضر فهذا ليس بشرك بإجماع المسلمين لأن يدعوه ليحمل معه أو يسلفه أو ...

﴿وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾.

هذا على أن الخلق غير قادرين على جلب النفع أو دفع الضر ولهذا فكيف يعبد غيره وهو عاجز.
﴿فَابتغوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾.

أمر بالطلب من الله وحده والاستغاثة به وحده وعبادته وحده وأن لا يطلب من غيره شيئاً ويستثنى ما تقدم.

﴿وَمَنْ أَضْلَلَ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.
هذه الآية تبين أنه لا أحد أضل من يدعوا من دون الله لأنه لم يفلح في الدنيا، وفي الآخرة خاسر إلى النار. ووصف المدعون من دون الله بأربعة أوصاف:
الأولى: عدم استجابتهم لهم إلى يوم القيمة.

الثانية: أنهم غافلون عن دعائهم إما لأنهم أموات أو جماد لا احساس لهم أو حي مشغول أو ملك لا علم له بمن دعاه.

الثالثة: أنهم يكونون أعداء لمن عبدهم يوم القيمة.

الرابعة: أنهم يرثون من عبادتهم وينكرنها.

﴿أَمْ يَجِيبُ الْمُضْطَرُ إِذَا دَعَاهُ وَيُكَشِّفُ السُّوءَ﴾.

أي لا أحد يستطيع فعل ذلك فلا ينبغي طلبه إلا من الله.

وروى الطبراني بإسناده أنه كان هناك منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم.. جاء في رواية أخرى أنه عبادة بن الصامت وأن المنافق هو عبد الله بن أبي بن سلول وفي إسناده بعض الضعف. والصحابة لم يطلبوا الغوث بالرسول ﷺ إلا لأنه يقدر أن يخلصهم منه أما بقتله أو بحبسه وهم يعلمون أن الاستغاثة بالحي القادر جائزة ولهذا ذهبوا إليه.

قوله لا يستغاث بي: يتحمل أمرين:

الأول: أن النبي ﷺ لا يستطيع قتله لأنه كان منوعاً من قتله لأجل أن لا يتحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه فامتنع من قتله.

الثاني: يتحمل إن صح الخبر أنه قال سداً للذرية وإن كان قادراً على التخلص منه، حتى لا تقع منهم هذه الكلمة في أمور لا يقدر عليها.

والشاهد: أنه لا يستغاث بغير الله إلا فيما يقدر عليه الحي.

١٥ - باب في التوحيد وغريبة الدين
﴿أَيْسَرِ كُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ، وَلَا يَسْتَطِعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ الآية

[الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وقوله: **﴿وَالَّذِينَ تَذَعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَطْمِير﴾** الآية [فاطر: ١٣].
 وفي الصحيح عن أنس قال: **«شَجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ وَكُسْرَتْ رِباعِيَّتُهُ**، فقال:
«كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوْنَاهُمْ؟ فنزلت: **﴿لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾**.
 وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا رفع رأسه
 من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر **«اللَّهُمَّ اعْلَمُ** العن فلانا وفلانا: بعدهما يقول: سمع
اللَّهُ أَكْمَلَ حَمْدَ رَبِّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فأنزل الله **﴿لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾** [آل عمران: ١٢٨].
 وفي رواية: يدعوا على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام،
 فنزلت **﴿لَيْسَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾**.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال قام رسول الله ﷺ حين أُنْزِلَ عَلَيْهِ: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٤] فقال: يا معاشر قريش، أو كلمة نحوها -
 اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك
 من الله شيئاً، يا صفية عمدة رسول الله ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت
 محمد سليمي من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً.

﴿أَيْسَرِ كُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾.

أراد المؤلف من هذه الترجمة بيان ما عليه أهل الشرك في عهد النبي ﷺ
 عندما دعاهم وقاتلهم فيبين بطلان ما هم عليه من عبادة غير الله من هذا وصفه.
 وبهذا الوصف فإنهم لا يستحقون العبادة. وهذا استفهام للتبيخ فهم لا يخلقون
 حتى النملة بل هم مخلوقون فكيف ينفعون غيرهم فهم إما جماد لا يعقلون أو
 أحيا لا يسمعون أو أموات لا يجرون من دعاهم وفي الآية صفات هؤلاء المعبودون
 من دون الله وهي أربعة.

١- أنهم لا يخلقون شيئاً.

٢- أنهم مخلوقون مربوبون.

٣- أنهم لا يستطيعون لهم نصراً.

٤- إنهم لا ينصرون أنفسهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يُلْكُونَ مِنْ قَطْمِيرٍ﴾ ..

وصف الله أكثتهم بأربع صفات كذلك:

١- أنهم لا يملكون شيئاً حتى القطمير.

٢- أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم.

٣- أنهم لو سمعوا ما استجابوا.

٤- أنهم يكفرون يوم القيمة بشرك هؤلاء. فهذه حالة المشركين وإنهم خسروا الدنيا والآخرة.

وفي الصحيح عن أنس قال شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته فقال: فإذا كان هذا أفضلخلق وأقرب الناس متزلة وأفضل الأنبياء لم يستطع أن يدفع عن نفسه ولا عن أصحابه وهم أفضل القرون وإذا كان كذلك لم يستحق أن يبعد من دون الله ويشرك به معه. وما حصل يوم أحد للنبي وأصحابه بذنبهم إنما حصل لحكمة بالغة وهو أن محمداً وأصحابه لا يدفعون الضر عن أنفسهم فكيف يدعون فغيرهم من باب أولى، والذنب هو مخالفة من كانوا على جبل الرماة أمر الرسول عليه الصلاة والسلام وتنازعهم.

حديث ابن عمر أنه سمع الرسول ﷺ يقول (اللهم العن فلاناً ..

وقد دعا على الحارث بن هشام وصفوان بن أمية وغيرهم من صناديد قريش ثم أسلموا وهداهم الله ولم تقبل دعوته فيهم ولا لعنه لهم. فإذا كان سيد ولد آدم لم تقبل دعوته فيهم ولم يضرهم فكيف بغيره بل الله أعلم بأحوال عباده.

حديث أبي هريرة لما نزلت ﴿وَانذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ..

لا اغنى عنكم من الله شيئاً: فنفي أن تنفعهم قرباتهم له ﷺ إذا لم يؤمنوا بل

أرشدهم إلى شراء الإيمان واتباع ما جاء به الرسول وأن هذا هو طريق النجاة وهو التوحيد. وهذا هو الذي ينفعهم أما ماله فيستطيع أن ينفعهم به. فعلم أن العبادة تكون لله وحده ولا يجوز طلبها من غيره وإذا كان النبي لا يستطيع نفع أحد دون الله فغيره أولى.

وهذا فيه رد على المشركين الذين يطلبون النفع من غيرهم ويقولون «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» فسمى الله فعلهم هذا عبادة وأمر نبيه بمقاتلتهم. لأنهم مشركون.

أما دعاء الحى القادر فلا بأس به بل هي أسباب حسية معقولة ليس لها تعلق بالغيب ولا هي متعلقة بالأموات.

* * *

١٦- باب قوله تعالى

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سـ٢٣].

وفي الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: إِذَا قُضِيَ اللَّهُ أَمْرُ فِي السَّمَاوَاتِ ضَرِبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْبَانًا لِقُولِهِ كَانَهُ سَلْسَلَةُ عَلَى صَفَوَانِ يَنْفَذُهُمْ ذَلِكُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ: هَذِهِ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَصَفَهُ سَفِيَّانُ بَعْضُهُ، فَحَرْفُهَا وَبَدْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَيَسْمَعُ الْكَلْمَةَ فَيَلْقِيَهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يَلْقِيَهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّىٰ يَلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرِبِّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابَ قَبْلَ أَنْ يَلْقِيَهَا. وَرِبِّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مَائَةً كَذِبَةً، فَيَقُولُ أَلِيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا فَيَصْدِقُ بِتِلْكَ الْكَلْمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاوَاتِ).

وعنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِي بِالْأَمْرِ وَتَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخْذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رِجْفَةً - أَوْ قَالَ - رِعْدَةً شَدِيدَةً - خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُبْقُوا وَخَرُوا اللَّهُ سُجْدَةً، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبَرِيلُ فَيَكْلِمُهُ اللَّهُ مِنْ وَجْهِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمْرُ جَبَرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ: كَلَمَا مَرَّ بِسَمَاءَ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جَبَرِيلَ فَيَقُولُ قَالَ: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كَلَمَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جَبَرِيلُ، فَيَتَتَهِيُّ جَبَرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حِيثُ أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ . أَرَادَ الْمُؤْلِفُ بِهَذَا الْبَابِ الرِّدَّ عَلَى عِبَادِ الْقَبُورِ وَالْأَصْنَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهَا، فَبَيْنَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِذَا كَانَتْ تَخَافُ اللَّهَ وَتَخَافُ عَذَابَهِ إِنْ خَالَفَتْ أَمْرَهُ فَكِيفَ تَسْتَحْقُ أَنْ تَعْبُدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

فزع: أي زال عنها الفزع والمراد بهم الملائكة كما في الأحاديث. فإذا ردت إليهم عقولهم قالوا ماذا قال ربكم.

قالوا الحق: أي قال بعضهم بعض هو الحق أي قال ربنا كذا وقال كذا. فإذا سمعت الملائكة قول الرب عز وجل تضرب بأجنبتها خضعاً.

خضعاً: بفتح الخاء وضمها: أي خاضعين وجلين مشفقين بين يدي الله تعالى كأنه ضرب سلسلة الحديد على الصفوان. فيسمع مسترق السمع من الجن هذا الكلام من الملائكة وهم بعضهم فوق بعض فليقله بعضهم إلى بعض حتى يلقاها الآخر للكاهن أو الساحر. وتأتيهم الشهب فربما أدركهم قبل أن يلقوها للساحر وربما أدركهم بعد أن يلقوها. وهذا امتحان من الله لعباده وإلا لو شاء ما استرقوا شيئاً فتجمع هذه الكلمات عند الساحر فيكذب معها مائة كذبة. ويصدقون في واحدة فيقال الناس فيما بينهم أليس قد قال لنا يوم كذا كذا. فيصدقون الكلمات الكثيرة بسبب واحد صحيحة فلا ينبغي الاغترار بهؤلاء وتصديقهم. لأن صدقهم أما بمشاهدة شيء في الدنيا وتنافله عن طريق الشياطين بعضهم لبعض. أو عن طريق مسترق السمع. فالواجب عدم الإصغاء إليهم وإن صدقوا أحياناً.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحى أخذت السماوات منه رجفة» أو قال...
سمعان: بفتح السين وكسرها.

فيكون أول من يرفع جبريل: ويقرأ جبرائيل أيضاً وهو أول من يفique لأنه أشرف الملائكة وهو الرسول بين الله ورسله. وكلما مر من سماء سأله ملائكتها والمسترقون يسمعون هذا الكلام بين الملائكة وربما حفظوا شيئاً وألقوه إلى السحرة والكهنة وربما احرقوا ولم يبلغوا شيئاً حسب مشيئة الله.

فالواجب عبادة الله وحده لا حق فيه للملائكة ولا للرسل ولا غيرهم وهذا فيه دلالة على خوف الملائكة وفزعهم منه.
ومن صدق بأن الكاهن يعلم الغيب فهو كافر. وفي الحديث ثبوت صفة

الكلام الله والإرادة وفيه فضل الملائكة .

وفيه أن الشياطين تسترق السمع وكان هذا قبل النبوة فلما بعث النبي ﷺ شدد عليهم في الاستماع . فلما مات صارت تستمع فتارة تصيبهم الشهاب قبل أن يستمعوا وتارة بعد أن يستمعوا .

* * *

١٧ - باب الشفاعة

وقول الله عز وجل: **«وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحَشِّرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلَيُّ وَلَا شَفِيعٌ لَهُ»** [الأنعام: ٥٤].

وقوله **«فُلِّ اللَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا»** [الزمر: ٤٤].

وقوله **«مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ»** [البقرة: ٢٥٥].

وقوله **«وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لَمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى»** [النجم: ٢٦].

وقوله **«فُلِّ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ»** [الأيتين: ٢٢، ٢٣].

قال أبو العباس: نفي الله عما سواه كل ما يتعلّق به المشركون فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة: فبين أنها لا تنفع إلا من أذن له ربُّ كما قال: **«وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى»** [الإنياء: ٢٨].

فهذه الشفاعة التي يظنّها المشركون هي منتفية يوم القيمة كما نفّاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: أنه يأتي فيسجدُ لربه ويحمده - لا يبدأ بالشفاعة أولاً - ثم يُقالُ له: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعطى، واشفع تُشفع».

وقال أبو هريرة له ﷺ: **«مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ؟** قال: **مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خالصًا مِنْ قَلْبِهِ**» فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون من أشرك بالله.

وحقّيقته أن الله سبحانه هو الذي يفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم

بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفّاها القرآن، ما كان فيها شرك، ولهذا أثبتت الشفاعة بإذنه في موضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. أهـ كلامه.

قد تكلّم الناس في الشفاعة وأضطربت أقوالهم فيها وشدّ المبتدعة بعقيدة باطلة لذلك احتاج العلماء إلى الكلام فيها ويخصّوها بالكلام حتى يعرّف المؤمن الحق

ويعتقد الاعتقاد الصحيح فيها. فباب الشفاعة أي بيان الشفاعة المثبتة والمنفية والحق والباطل فيها.

وقوله تعالى ﴿ وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولهم ولا شفيع ﴾ .

أي انذر يا محمد بالقرآن الذين يخافون أن يحشروا ويجمعوا إلى ربهم وهم المسلمون لأن الكفار لم يسمعوا ولم يستجيبوا. والإنذار: الأعلام مع التخويف. (ليس لهم من دونه ولهم ولا شفيع). هذه الشفاعة الباطلة فإن العباد ليس لهم ولهم ولا شفيع بالكلية إلا من رضي الله قوله وعمله فقط لأن الكفار يظلون أن لهم أولياء وشففاء ينقذونهم من النار ولا يدخلون النار بسببهم حتى عبدهم من دون الله (وقالوا هؤلاء شفاءُنا عند الله) وقالوا ﴿ ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي ﴾ في حين سبحانه أنه ليس للعباد ولهم ولا شفيع دونه وإن شفاعة الكفار هذه باطلة وإن الشفاعة الحق هي التي يأذن الله فيها لأنبياءه وأولياءه وأهل طاعته في أهل التوحيد والإيمان لا في أهل الكفر والنفاق.

(العلم يتقون): أي لأجل أن يتقدوا الله ويستقيموا على دينه إذا عرفوا أنه لا شفاعة ولا ولاء من دونه فيوحدونه ويحذرون من غضبه.

﴿ قل لـه الشفاعة جمـعاً ﴾ .

أي قل للناس إن الشفاعة لله وحده وقبل هذه الآية أنكر على من أدعى الشفاعة من دون الله من المشركين الذين يدعون الشفاعة لأصنامهم وأحجارهم وغيرها من المعبودات فنفي الله ذلك كما قال تعالى ﴿ فـما تـنفعـهمـ شـفـاعـةـ الشـافـعـينـ ﴾ ﴿ وـمـا لـلـظـالـمـينـ مـنـ حـمـيمـ وـلـاـ شـفـيعـ يـطـاعـ ﴾ فالشفاعة له وحده سبحانه وإنما يشفع الأنبياء والصالحون بإذنه وهو يعطيها من يشاء فيجب أن تطلب منه. ويقول: اللهم شفع في نبيك وشفع في عبادك الصالحون.. ولا مانع أن تطلب الشفاعة من الحي في حياته كأن يقول: يا رسول الله اشفع لي أن يرزقني الله أو تقول للرجل الصالح اشفع لي أن يغفر الله لي وادع أن يهديني. أما الأصنام

والآيات والغائب كالملائكة فلا يطلب منهم ذلك لأنه لا يشعر ولا يدرى عنك ولا يطلع على الغيب كما يعتقد الجهل والكفار.

﴿مِنْ ذَا الَّذِي يُشْفَعُ عَنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿وَكُمْ مِنْ مُلْكٍ لَا تَغْنِي شَفَاعَتَهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْضِي﴾ ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فيَّن سبحانه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وأنهم لا يشفعون إلا من ارتضى وأن الملائكة لا تملك إذنًا في الشفاعة بل يملكونها الله وحده.. فإذا كان هذا حال الملائكة والأنبياء والرسل لا يشفعون إلا بعد الإذن والرضا عن المشفوع فغيرهم من الصالحين والأطفال والأفراد من باب أولى.

ثم أن المتعلقين بهؤلاء الذين يدعونهم من دون الله يتصلون بهم لأربعة أشياء بينها الله ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونْ مُثْقَلًا ذَرَّةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرَكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ، وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عَنْهُمْ﴾ .. [سبا: ٢٢ - ٢٣] والأربعة هي:

- ١ - الملك: فيظنون أنهم يملكون شيئاً والله هو المالك وحده.
- ٢ - الشرك: فيظنون أنهم شركاء الله.
- ٣ - المظاهر: أي المساعدة والمساعدة مع الله تعالى وهو باطل.
- ٤ - الشفاعة: فيظنون أن آلهتهم تشفع لهم.

فيَّن أنه لا شفاعة إلا بإذنه ولا شفاعة مستقلة كشفاعة الدنيا، ففي الدنيا قد يشفع له من أجل خوفه منه أو من أجل حاجته إليه والله عز وجل متزه عن ذلك. قال أبو العباس - هو شيخ الإسلام -: نفي الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون.

هو شيخ الإسلام.

قوله (فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منفيه يوم القيمة كما نفاهما القرآن: فمنهم من يظن أن أصنامهم ومن يدعونهم يشفعون لهم شفاعة ملزمة

وأنهم لا يحتاجون إلى إذن وإنهم تقبل شفاعتهم فيهم وأنهم يدخلون الجنة بسيبها ولا يدخلون النار ولكن هذا في حق من يؤمن بالآخرة. أما من لم يؤمن بالآخرة منهم فهم يعبدونهم ليشفعوا لهم في أمور الدنيا ومصالحها من حصول الرزق وما أشبهه فمقاصدهم بالشفاعة مقاصد عاجلة. وأكثر العرب لا يؤمن بالآخرة.

قال أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله فقال «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه».

فأسعد الناس بشفاعته هم الموحدون وفي الحديث «إن لكل نبي دعوة...» واني ادخلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة وهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» فيبين أنها لا تنفع أمنه إلا من وحد الله، أما من مات على غير الإسلام فلا شفاعة لهم وحقيقة: أنه سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم.

قوله المقام المحمود: هو ثابت للنبي ﷺ وهو الذي يحمده عليه الأولون والآخرون قال تعالى «عسى ربك أن يبعثك مقاماً مموداً» فهي الشفاعة العظمى على الصحيح.

وقيل أن المقام المحمود هو أن الله يجلسه معه على العرش يوم القيمة لكن في صحته - الحديث - نظر والمشهور الأول.

والشفاعة تفضل على المشفوع لأنه تفضل من الله بنفع هذا المشفوع فيه حتى دخل الجنة. وهذه هي حقيقة الشفاعة.

وهذا رد على أهل القبور بل هم محرومون من الشفاعة لاتباعهم بما يحرمهم من الشفاعة.

١٨ - باب قول الله تعالى

﴿إِنَّكُمْ لَا تَهْدِي مِنْ أَحْبَبْتُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ﴾.

وفي الصحيح عن ابن المسمى عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنه عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل. فقال له: يا عم قل إلا إله إلا الله كلمة أحاجٌ لك بها عند الله فقال له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ. فأعادا. فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول: لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: لاستغفرن لك ما لم أهتك، فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [النور: ١١٣] وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكُمْ لَا تَهْدِي مِنْ أَحْبَبْتُمْ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

هذا الباب ذكره المؤلف ليبين أن الرسل وأفضلهم محمد ﷺ لا يملكون شيئاً من أمر الله إلا ما أطاعهم الله وأنهم لا يستطيعون هداية البشر إلا من هداه الله فهم مربويون مقهورون ليس لهم من التصرف إلا ما جعل الله لهم. لذلك لا يصلح أن يبعدوا من دون الله فهم كسائر البشر لكن الله فضلهم بالرسالة والنبوة فلهم مزيد شرف ولكن هذا لا يجعلهم شركاء لله في تصريف الكون أو علم الغيب وهداية من شاءوا. فإذا كان الرسول لم يستطع هداية عمه أبي طالب وأبي لهب فهذا يدل على أن الهداء بيد الله ويجب طلبها منه سبحانه.

فهذا باب بيان أن الهداء التي مضمونها قبول الحق والرضي به لا يملكونها أحد غير الله.

أما الهداء التي يعني الدلالة والإرشاد والبيان فهي بيد الرسل واتباعهم من العلماء والدعاة كما قال تعالى ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي ترشد وتدل وتدعوا إلى صراط مستقيم ولكن لا يستطيعوا أن يؤثروا في القلوب حتى تقبل الحق بل هي لله.

وفي الصحيح عن ابن المسمى قال لما حضرت أبي طالب الوفاة جاءه رسول

الله بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ.

لما حضرت: أي علامات قرب الأجل. المسبب بالكسر وبالفتح وهو أشهر عند المحدثين.

جاءه رسول الله: ليدعوه دعوة خاصة عند قرب الأجل وقد دعاه قبل ذلك كثيراً. ولكنه لم يستجب مع أنه يعلم أنه حق ولكنه لا يريد أن يجلب المسبة لقومه على زعمه ولذا قال في شعره

ولقد علمت بأن دين محمد . . . من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة وحدار مسبة . . . لوجدتني منشرحاً بذلك بينما
اترغب عن ملة عبد المطلب: من عبادة الأواثان والآصنام.

كلمة أحاج لك بها عند الله: أي أشهد لك بها وأحرص بها على نجاتك.

فكأن آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب: لأنه قد سبقت له الشقاوة ولم يرد الله له الهدایة لحكمة بالغة فهو مات على دين قومه وهو الحق وجاءت به الأحاديث الصحيحة أنه رأه - أي النبي عليه الصلاة والسلام في غمرات من النار فشفع فيه حتى صار في ضحاض من النار يغلي منها دماغه. أما من قال أنه أسلم فلا أصل له. ففيه أن النبي لا يستطيع هداية أحد من الخلق.

(إنك لا تهدي من أحببت) فيه تسلية للنبي وتسلية لمن أسلم بعض قومه ولم يسلم بعضهم.

* * *

١٩- باب ما جاء أن سبب كفربني آدم وتركمهم دينهم هو الغلو في الصالحين
وقول الله عز وجل: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْ فِي دِينِكُمْ﴾** [الناس: ١٧١].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهمما في قول الله تعالى: **﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ أَهْلَهُتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا، وَلَا سُواعًا، وَلَا يَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرًا﴾** [نوح: ٢٣] قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت».

وقال ابن القيم - قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر - أن رسول الله ﷺ قال - **«لَا تُطْرُوْنِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ - فَقُولُوا عَبْدُ اللهٍ وَرَسُولُهٍ»** آخر جاه.

وقال - قال رسول الله ﷺ: «إِيَاكُمْ وَالْغَلُوْ فِيْنَا أَهْلُكُمْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغَلُو».
ولمسلم عن مسعود - أن رسول ﷺ قال - **«هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»** قالها ثلاثة.

بين المؤلف سبب كفرهم وأغلبه هو الغلو في الصالحين وهناك أسباب أخرى كالحسد والبغى وال غالب أنهم أحبوا الأنبياء والصالحين حتى غلو فيهم وكفروا.
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوْ فِي دِينِكُمْ﴾.

هذا نصارى وكذلك اليهود لكن النصارى أكثر غلواً.

والمقصود من الباب التحذير من الغلو في حب الصالحين والأنبياء وحبهم دين حيث قال (في دينكم) والحب والبغض في الله من الدين كما قال عليه الصلاة والسلام « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مَا سَوَاهُمَا» لكن هذا الحب لا يكون بالغلو بل باتباعهم وعدم عصيانهم وطاعتهم لا بعبادتهم من دون الله عز وجل وهذا العلماء والصالحين يكون حبهم بالترضي عنهم والسير على منهجهم فيجب أن تكون محبة شرعية.

وفي الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرن﴾.

وهذا في قوم نوح وقد وسوس لهم الشيطان أن يصورها لتكون ذكرى لهم على العبادة فلما هلك أولئك أتى الشيطان من بعدهم وقال إن آباءكم كانوا يعبدونها ويستغثون بها فعبدوها.

فهذا سبب الغلو أضل الناس وأهلكهم في الدنيا والآخرة.

قوله (نسى العلم) أي ذهب وهي رواية، وفي رواية نسخ. فذهب العلم وجاء من لا يعلم فوقع في الشرك ففيه أهمية العلم ومحاربته للجهل فإذا ذهب وقع الناس في الباطل والجهل. ففيه فضيلة العلم الشرعي.

قال ابن القيم: ويحتمل كلامه إن الذين صوروها هم الذين عبدوها لما طال الأمر وتغيرت الأحوال ويحتمل أنهم بعد موتهم جاءت ذريتهم فعبدوها. فالبدع شرها عظيم على من فعلها وعلى من جاء بعده.

وعن عمر مرفوعاً (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم أنا أنا عبد..).

يحذر النبي ﷺ من الإطراء وهو مجاوزة الحد في المدح.

والوصف بما لا ينبغي ولا يجوز ولا يحق له كأن يقال يعلم الغيب أو يتصرف في الكون.. بل يمده بما ينبغي وبالحق كأن يقال خير الرسل وخير الخلق وخاتم النبئين مبلغ الرسالة.. ومن الغلو ما قاله البوصيري في شعره: أنه يمده بكل شيء لكن لا يقال ابن الله فقط، وهذا جهل وضلال. فلا يمده بما يخص الله وحده لا هو عليه الصلاة والسلام ولا أحد من الخلق. وعندما ضاع عقد عائشة وجدوه تحت الجمل ولم يعلمه الرسول ﷺ ولا أحد من أصحابه فلا يعلم الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

وقال ﷺ: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو».

قالها النبي ﷺ في حجة الوداع حين أمر ابن عباس بأن يأخذ سبع حصيات. والحديث رواه أحمد وبعض أهل السنن بإسناد جيد فهو حديث صحيح.

والغلو: الزيادة. يقال: على القدر. وهي الزيادة في الدين بما لم يأذن به الله

بل الواجب الوقوف على النص بدون زيادة ولا نقصان فإذا زادوا وقعوا في الشرك أو البدع.

ولمسلم عن ابن مسعود مرفوعاً «هلك المتنطعون».

والمتنطع: هو الغالي المتشدد المتكلف الذي يزيد في الأمور ولا يكتفي بالحدود. وأصله في الكلام بأقصى حلقه والتتكلف في الكلام وهكذا كل غال في أي شيء يقال له متنطع فيجب الاقتصاد في الكلام وفي كل شيء وليس لأحد أن يزيد في الدين أو ينقص لا ملك ولا رئيس ولا عالم ولا غيره.

* * *

٢٠- باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده في الصحيح عن عائشة «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور. أولئك شرار الخلق عند الله» فهؤلاء جمعوا بين الفتتتين، فتنة القبور، وفتنة التماشيل.

ولهمما عنها قالت «لما نزل برسول الله ﷺ طَفَقَ يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتَمَ بها كشفها فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخاذوا قبور أئبائهم مساجد. يُحذِّر ما صنعوا، ولو لا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يُتُخذ مسجداً». أخر جاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول (إنى أبرا إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخاذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخدنا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إلا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أئبائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك).

فقد نهى عنه آخر حياته، ثم أنه لعن - وهو في السياق - من فعله، والصلوة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قوله «خشى أن يُتُخذ مسجداً» فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركمهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه.

هذا باب عظيم كالذى قبله أي باب ما جاء من الأدلة في التغليظ فإن كانت الأدلة جاءت بإنكار عبادة الله عند قبور الصالحين فكيف إذا عبده واتخذه إلهاً من

دون الله فالتعليل يكون أشد لأن الأول وسيلة والثانية شرك أكبر. وفي الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور لرسول الله ﷺ فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ..». رأت كنيسة: لما هاجروا إلى الحبشة رأوا كنيسة معظمها ولها شأن يقال لها مارية فيها صور وتحسينات.

أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح. هذا بيان حال النصارى وغلوهم في أمورهم. صوروا فيه الصور: أي صور الرجل الصالح أو له ولاتباعه كما جرى لقوم نوح. أولئك شرار الخلق: أي الذين فعلوا هذا الفعل لأنهم فعلوا أسباب الشرك والغالب أنهم يفعلون ذلك لأنهم يعتقدون الشرك. فتعظيمهم القبور والبنية عليها لتعبد ويستغاث بها فصاروا بهذا شرار الخلق.

فمن فعل هذا الفعل فقد تشبه بالنصارى وعمل عملهم ومن تشبه بقوم فهو منهم والمقصود من الكلام التحذير من فعلهم. وقد وقع في الأمة ذلك، وأعظم من فعله هم الرافضة الذين غلو في آل البيت وهم أول من بنى على القبور وبنى عليها المساجد وعبدوها من دون الله ثم قلدتهم أناس من أهل السنة من كثير من بلاد المسلمين وقد وقع اتباعها للكفار حذو القذة بالقذة.

قوله فهؤلاء جمعوا بين الفتتتين: فعظمو القبور، وصوروا الصور وكذا من شابههم من هذه الأمة شابهوا النصارى وشابهوا قوم نوح. ولهمما عنها قالت لما نزل برسول الله ﷺ طرق يطرح خميسة له على وجهه .. طرق: جعل، خميسة: كساء.

وهذا من سكرات الموت لسيد الخلق ليرفع به الدرجات وليكون أسوة لأمته. لعن الله اليهود والنصارى: قالها في مثل هذه الحالة العصبية ليحذر أمته من فعل ذلك. ولو لا ذلك لأبرز قبره: أي في البقيع مع أصحابه.

غير أنه خشي أن يتتخذ مسجدًا: ثلا يأتي أنس بعد الصحابة وينتون عليها مسجدًا أما الصحابة فلا يفعلونه. وهذا الآن يقع من بعض الجهلة الذين يزورون

المسجد يدعون النبي ﷺ لكن من وراء الجدار وهو شرك أكبر. وهذا يدل على غيرة الصحابة وحرصهم على الأمة فلذلك نقلوا هذه الأحاديث للأمة. ولمسلم عن جندي مرفوعاً: «لو كنت متخدنا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً». الخلة: أعلى من الحبة وفيه فضل الصديق رضي الله عنه وأنه أفضل الصحابة بالإجماع. ولو كنت متخدنا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً: فلم يتخذه لثلا تزاحم محنته محبة الله عز وجل.

كانوا يتخذون قبور أئبائهم مساجد: وفي مسلم (أنبائهم وصالحهم مساجد) وسقطت اللفظة لأنها نقلها من كتاب (افتضاء الصراط المستقيم) وقد سقطت من هناك.

ومنع من هذا ثلاثة طرق:

١- ذم ما فعلوه.

٢- قوله: لا تتخذوا.

٣- قوله: فإني أنهَاكم عن ذلك.

وهذا مبالغة منه في النهي عن ذلك. لأن وسيلة إلى الشرك كما حصل الآن. خشي أن يتخذ مسجداً: لأن الصلاة عند القبور اتخاذ لها مساجد فكل موضع يصلى فيه فهو مسجد كما في الحديث (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) فإذا صلى عند القبر فقد اتخذ مسجداً وإن لم يبني فكيف إذا بني وهذا من وسائل الشرك. وقد ورد عن ابن مسعود مرفوعاً «أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياه والذين يتخذون القبور مساجد».

لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق أما المؤمنون فتقبض أرواحهم قبل ذلك بالريح الطيبة.

والذين يتخذون القبور مساجد: أيضاً من شرار الناس لأنهم يتسببون في وقوع الناس في الشرك والبدع والباطل لأن الناس إذا رأوا هذا قالوا ما دام أنه قد بني على هذا القبر فهذا القبر يدعى به ويستغاث به. لا يضر قرب المسجد من المقبرة وإن فصل بينهم بطريق فهو أولى.

٢١- باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثاناً تُعبد من دون الله روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد). اشتد غضب الله على قوم اتخدوا قبور أئبيائهم مساجد). ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّهَ وَالْعَزَّىْ) قال: كان يلت لهم السوق، فمات، فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السوق للحجاج. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. رواه أهل السنّة.

وهذا صحيح كما سبق فالغلو يجعل الغلو فيه معبوداً من دون الله ولهذا لما على أنس في بعض الصالحين جعلوها تُعبد من دون الله كقبر الصالحين من الحسن والحسين وفاطمة وغير ذلك. وهكذا هذه الأمة غلو في الرسول فعبدوه واستغاثوا به ودعوه من دون الله. وفي سابق الزمان لما على قوم نوح في الصالحين أدى إلى عبادتهم، وتقدم ذلك.

* روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»، اشتد غضب الله على قوم اتخدوا قبور أئبيائهم مساجد». روى مرسلاً عن عطاء بن يسار وزيد بن أسلم وروى متصلًا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ...

اشتد غضب الله ... : لأنهم جعلوها أوثاناً تُعبد من دون الله حيث بنوا عليها المساجد فعظموها فطافوا بها واستغاثوا بها وبنذروا لها. فاللالات لما على فيه أهل الطائف صار معبوداً من دون الله وهذه سنة الأولين والآخرين. فالبناء على القبور وتعظيمها يصيّرها أوثاناً تُعبد وإن لم يعبدوها الآن فالوسائل تُجر إلى الغايات.

* حديث ابن عباس «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها السرج والمساجد».

٢١- باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله ٦٧

فيه حرمة زيارة القبور على النساء على الصحيح للأدلة وكما في حديث حسان ابن ثابت وأبي هريرة بمعناه فزيارة القبور مختصة بالرجال.

المسألة الثانية: اتخاذ المساجد على القبور لما سبق من التشبه بأهل الكتاب، ولأنه وسيلة إلى الشرك.

مسألة: لا يجوز زيارة النساء حتى إلى قبر النبي ﷺ على الصحيح لأن الحديث عام.

وورد لفظ زوارات لكن ورد أيضاً زائرات.

الحلف بالقرآن جائز لأنه كلام الله.

* * *

٢٢- باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسَدَّ كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَيْتُمْ﴾** الآية

[النور: ٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَجْعَلُوا بَيْوَنَكُمْ قُبُورًا وَلَا تَجْعَلُوا قُبُرِيَّ عِيدًا وَصُلُوْعًا عَلَيَّ إِنْ صَلَاتُكُمْ تَبْلُغُنِي حِيثُ كُتُبْتُمْ»** رواه أبو داود بأسناد حسن ورواته ثقافت.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه (أنه رأى رجلاً يجئه إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ؟ فيدخل فيها فيدعوه، فنهاه).

وقال: **«أَلَا أَحَدُنُكُمْ حَدَّيْتُمَا سَمِعْتُمْ مِّنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَخَذُوا قُبُرِيَّ عِيدًا، وَلَا بَيْوَنَكُمْ قُبُورًا، وَصُلُوْعًا عَلَيَّ إِنْ تَسْلِيمُكُمْ يَلْغُونِي حِيثُ كُتُبْتُمْ»** رواه في المختار.

بين المؤلف بهذه الترجمة ما جاء به النبي ﷺ وحمايته التوحيد من الأقوال والأفعال الشركية.

وجناب الشئ: الجزء منه. وحمى التوحيد: زائد على الجانب فالثانية أبلغ من الأولى لأن الأولى في الجانب والثانية في الحمى. وهنا ذكر الوسائل الفعلية لحماية التوحيد من الشرك، وفي باب حماية التوحيد وسد طرق الشرك - وسيأتي ذكره - فيه الحماية القولية أي حمى التوحيد بالتحذير من الشرك وما يصل إليه من أقوال وأفعال. قوله **﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَيْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** هذا وصف له والخطاب لقريش وللأمة كلها ولهم خاصة لأنهم يعرفونه ويعرفون نسبة وأنه منهم وفي قراءة شاذة (من أنفسكم) من أشرفكم. عزيز عليه ما عيتم: أي شاق عليه الشيء الذي يضركم ويتعبكم لرحمته بكم وحبه لكم، وحرirsch على هدايتكم وتحذيركم من النار بأعماله وأقواله، وهو

رؤوف بالمؤمنين عطف عليهم ولكن شديد على أعداء الله لکفرهم وضلالهم فهذه أوصافه فإن كانت هذه حاله فالواجب اتباعه ومحبته، ولكن حصل العكس فعادوه حتى أرادوا قتلها. ثم من كانت هذه صفاته فإنه لا يترك أمره بدون نصح لذلك أمر بالتوحيد وحث الناس على الاستقامة وحذر من الشرك وأسبابه بأقواله الكثيرة ك الحديث « لا تطروني كما أطربت النصارى .. أياكم والغلو .. هلك المتنطعون ». * عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا ... ». .

عيداً: بتكرار المجنى إليه والدعاء عنده أو الصلاة عنده أو الاستغاثة به ونحو ذلك، والعيد هو ما يتكرر ويعود كل مرة. ولا يدخل في هذا زيارته عليه الصلاة والسلام بدون شد الرحل وبدون غلو فيها وعبادة عندها.

لا تجعلوا بيوتكم قبوراً: أي مثل القبور لا يصلى فيها ولا يقرأ عندها بل صلوا فيها واترموا. وفي الحديث « اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً » فدل على أن القبور لا يصلى فيها ولا يقرأ عندها. والذي يصلى في البيوت: التوافل. صلوا على: حث على الصلاة عليه ﷺ.

* وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها ..

علي بن الحسين: هو زين العابدين.

فيصلى على النبي ﷺ في كل مكان في البيت والسوق والطريق ولا يخصوا السلام والصلاحة عليه عند القبر. ولهذا أنكر علي بن الحسين على الرجل وبين له أن هذا ليس بمشروع وأنك تسلم عليه وتغضي لا تجلس عند القبر تدعوه.

هذه سنة جاءت عن أهل البيت وكلهم يبنوا أن اتخاذ القبر عيداً وسيلة إلى الشرك إذا عكروا عليه عنده وصلوا عنده ودعوا عنده جرهم هذا إلى الشرك والغلو فجسم النبي المادة. ومن اتخاذ القبور مساجد والبناء عليها وتجسيصها وفرضها يؤدي إلى اعتقاد العامة أنها معظمة وأنها تفع وكل هذا قد وقع مع أن النبي ﷺ قد حمى جناب التوحيد وحذر منه - الشرك - .

٢٣- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِتِ وَالْطَّاغِوتِ﴾ [النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَّارِيَّ وَعَبْدَ الْطَّاغِوتِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غُلْبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «التبين سُنْنَ من كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذُوَ الْقَلْدَةَ بِالْقَلْدَةِ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَهَنَّمَ لَدَخَلُتُمُوهُ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟» أَخْرَجَاهُ.

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ زَوِيَ لِي الْأَرْضُ، فَرَأَيْتُ مُشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مِلْكَهَا مَا نَزَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتِ الْكَتْزِينَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بِسْنَةٍ بَعْدَهَا، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عُدُوًّا مِنْ سَوْيِ أَنفُسِهِمْ فَيُسْتَبِعَ بِيَضْطَهَمْ، وَإِنْ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فِيَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسْنَةَ بَعْدَهَا وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عُدُوًّا مِنْ سَوْيِ أَنفُسِهِمْ فَيُسْتَبِعَ بِيَضْطَهَمْ، وَلَوْ اجْتَمَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَاقِطَارِهَا، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكَ بَعْضًا وَيُسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد «وَإِنَّا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَنْمَاءِ الْمُضَلِّلِينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السِّيفُ لَمْ يَرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحِقَ حِيَّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَاتُهُمْ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كَلِمَةً يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيٌّ بَعْدِهِ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مُنْصُورَةً لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذْلِهِمْ وَلَا مِنْ خَالِفِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارِكُ وَتَعَالَى».

أي باب ما جاء من أحاديث وآيات تدل على ذلك وأنها غير معصومة في

الوقوع في الشرك وكما دخل الناس في دين الله أفواجاً صاروا يخرجون منه، وقد وقع في عهد الصديق من الردة ما وقع.
وقول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبْنِ وَالْطَّاغُوتِ﴾.

أخبر الله أن أنساً من أهل الكتاب يؤمنون بالجبنة: وهو السحر، والطاغوت والشيطان ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ وهذه قالة اليهود كعب بن الأشرف وحبي بن أحطب قالوا: إن قريشاً أهداً من محمد وأصحابه وهم يعلمون أنه على الحق فقالوا عناداً وحسداً وبغضاً وخلافاً لما معهم. فهم أوتوا نصيباً - أي حظاً - من الكتاب لكن لم يعملا به بل خالفوه وأمنوا بالجبنة والطاغوت وقالوا هؤلاء أهداً سبيلاً. فإن كان هذا قد وقع من اليهود فسيقع من هذه الأمة لحديث «لتتبعن سنن من كان قبلكم» فدل على أن هذا سيكون في أمة محمد ﷺ من يكفر ويقول إن الكفراً أهداً من اتباع النبي ﷺ وهو وقع قدماً ويقع الآن من يفضلون اليهود والنصارى على هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوْيَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضْبِهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾.

فإذا كان من قبلنا عبد الطاغوت: وهو الشيطان، وكل ما يعبد من دون الله. فهكذا يوجد في هذه الأمة من يعبد الطاغوت والأوثان لحديث «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَتَخْذُنَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.
فإذا كان في الأمم الماضية من اتخذوا المساجد على القبور وعظموها فكذلك في هذه الأمة، وقد وقع هذا في آخر القرن الأول من الرافضة الذين بناوا المساجد وعظموا القبور ثم تبعهم من يدعى الإسلام كما هو حال المسلمين كما في الحديث الآتي:

* عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «لتتبعن سنن من كان قبلكم

حدو القلة بالقلة» ..

والقلة: هي ريشة السهم وتكون متساوية حتى يستعين بها الرامي على أصابة الهدف فكما أن هذه تشبه هذه فكذلك من وقع من كفار هذه الأمة أشبه بن قبلهم في الشرك بالله وعبادة الأوثان والآصنام. وكما أنه وقع في الأولين من سب أتباع الأنبياء فكذلك وقع في هذه الأمة من الرافضة والخوارج الذين سبوا الصحابة وهكذا كل معصية وكفر وقع في السابقين سيقع في هذه الأمة. ومن ذلك الحديث الذي رواه البخاري مرفوعاً: « لا تقوم الساعة حتى تضطرب آيات نساء دوس حول ذي الخلطة » دوس: قبيلة في الجنوب في بلاد غامد و Zhao'an فقد وقع في عهد قريب قبل هذه الدولة من عبد هذا الصنم وطاف حوله وسيقع مرة أخرى. وقال عليه الصلاة والسلام: « لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمرشحين وحتى تعبد فتاثم من أمتي الأوثان » وقد وقع. وعن عائشة مرفوعاً « لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى » وسيقع هذا كله.

مسألة: حديث «يئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب» هذا يفتح به الجهل ولكن هل يئس معصوم؟ فهو ليس معصوم قد يئس من الشيء ويحصل فلما ظهر الدين يئس، ولكن الشرك وقع كما هو مشاهد وقد يرجو الشيء ولا يحصل. وقيل أنه يئس أن يعودوا كحالهم الأولى تماماً لأنه سيبلغ طائفه من الأمة على الحق. وقيل أن المراد: الصحابة لرواية (المصلين) والآلة للعهد، أو المصلين الصحابة لأن الله وفقهم ورزقهم العلم. وكل الإجابات الثلاثة صحيحة.

وسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لى الأرض».

زوى: أي جمعها. فرأيت مشارقها وغاريبها وإن أمتي سيبلغ ملوكها ما زوى لى منها، وهذا معلم من معالم النبوة فقد وصل ملك هذه الأمة إلى أقصى المشرق إلى الصين وإلى أقصى المغرب: المغرب وطنجة. وليس كذلك شمالاً وجنوباً.

(أني أعطيت الكترين الأحمر والأبيض: هي كنوز كسرى وقيصروكانا أعظم دولتين. دولة النصارى والوثنيين، وهذا ما حصل لهذه الأمة. وقد أنفقت كنوزهما

في سبيل الله كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام في عهد عمر وعثمان وهذا علم من أعلام النبوة.

ولاني سألت ربي لأمتى ... يستطيع بيضتهم: البيضة: المجتمع والجوزة والخلاصة. بستة عامة: أي هلاكاً عاماً كما جرى لقوم نوح وصالح وغيرهم لأن هذه الأمة آخر الأمم وما جعل الله في نبيها من الخير والبركة وستبقى هذه الأمة إلى قيام الساعة.

وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم: فاستجاب له لكن قال الله: «حتى يهلك بعضهم بعضاً ويسيء بعضهم بعضاً» أي إذا تسلطوا فيما بينهم وتقاتلوا سلط عليهم أعداءهم وهذا ما حصل لما تفرقوا وخالفوا طمع فيهم أعداؤهم وأخذوا ما في أيديهم من أزمان طويلة.

قضيت قضاء لا يرد: أي أن الله إذا أمر بشيء وقضاه وقدره لا يرده أحد، وقد سبق في علم الله أن هذه الأمة سيقع فيها الخلاف والنزاع وأن دعوته عليهم السلام لهم في أنهم لا يتقاولون ولا يتنازعون فيما بينهم لم تستجب بل منع هذه الدعوة. ولهذا وقع النزاع في العهد الأول وما بعده كما حصل من التار ما حصل بعد ذلك من تسلط العدو عليهم بسبب عدم تمسكهم بالحق على الوجه الصحيح، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيرة ما بأنفسهم. وبه يعلم أن الأمة لو اجتمعت على الحق واستقامت وتعاونت فإنها تغلب عدوها ويجمع الله لها الخير ومتى تفرقوا وتنازعوا طمع فيهم الأعداء وسهل عليهم أخذها والشيل منها.

وما رواه البرقاني وزاد «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين ..».

البرقاني: بثليث الباء وقال بعضهم وبدون ضم.

وهذا يفيد خطورة الأئمة المضللين وهم ولاة السوء فإنهم يتبعون ويتأثر بهم ويستعن بهم على الباطل فلذلك خاف على أمته منهم. وهذا يشمل الأمراء والقضاة الصالحين.

«إذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيمة»: وهذا قد وقع، وهذا من علامات

النبوة فإن باب الفتنة فتح بقتل عمر ثم ازداد بقتل عثمان وزاد الشر.

«لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالشركين وحتى تعبد فثام من أمتى الأوثان»: يدل على أن الشرك سيقع في هذه الأمة وقد حصل، وهذه هي الوثنية حصلت في الجزيرة وغيرها.

«سيكون في أمتى كذابون ثلاثون..»: وهو من علامات النبوة وقد وقع كما تنبأ مسيلمة فقتلته الصحابة، والأسود العنسي وقد قتل في حياة النبي ﷺ، وسجاح التميمية وتابت، وطليخة الأسدية وقد تاب، وغيرهم وآخرهم الدجال الذي يدعى النبوة ثم يدعى أنه رب العالمين قاتله الله. وهؤلاء المدعون هم الذين يكون لهم شوكة وصولة وشبهة وإلا فالمدعون كثير بعضهم يقولها بجنون وهذيان وغيره.

«ولا تزال طائفة من أمتى على الحق».. هذا من علامات النبوة أيضاً ومن البشرى وهذه الطائفة لا تزال إلى الآن.

حتى يأتي أمر الله: وهي الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين فتقوم الساعة على شرار الناس.

وقد جاء في روایات: أنها تكون بالشام. لكن إن صر هذا فالمراد أحياناً وليس دائماً ولكن غالباً روايات ضعيفة وليس لها مكان معين قد تجتمع وقد تفترق وليس في حديث صحيح ما يدل على أنها تكون في مكان معين.

٢٤- باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِهِ» وقوله: «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالْطَّاغُوتِ» [البقرة: ١٠٢].
قال عمر: «الجِبْرِ: السحر، والطَّاغُوتِ: الشيطان».

وقال جابر: «الطواغيت: كهان، كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد». وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقدف المحسنات الغافلات المؤمنات».

وعن جندب مرفوعاً: «حَدَّ السَّاحِرُ ضُرِبَهُ بِالسِّيفِ» رواه الترمذى وقال الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري عن بحالة بن عبدة قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاثة سواهن».

وصح عن حفصة رضي الله عنها «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت» وكذلك صح عن جندب.

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ

السحر: بكسر السين هو ما يتعاطاه السحرة من عقد وأدوية ونفث في العقد وغيرها وأشياء يتلقونها من الجن والشياطين. والسحر: هو ما يسحر الناس، وسمى سحراً لأنهم يتعاطونها بطرق خفية.

وهو منكر وشرك لأنه لا يتوصل له إلا بالشياطين والتقرب إليهم وعبادتهم من دون الله كما في الآية «وَمَا يَعْلَمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّا نَحْنُ فَلَاتَكْفُرُونَا» فدل على أن تعلمهم يوجب الكفر ثم قال تعالى :

«وَلَقَدْ عَلِمُوا مِنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقِهِ».

اشتراء: أي اعترافه وفعلاً فما له عند الله من حظ ولا نصيب. وهذا يدل على تحريره وإنكاره ثم قال ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا المثلوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ فدل على أنها ضد الإيمان والتقى وللهذا قال أهل العلم أن السحر من الكفر والضلال لأنه لا يتوصل إليه إلا بعبادة الجن والشياطين. وقيل يستفصل فيما كان مما يتعلق بعبادة الجن والشياطين فهذا من الكفر بالله وشرك أكبر، وما كان من أدوية ليس فيها تعلق بالشياطين وعبادة لهم فهو من المحرمات والكبائر والمنكرات التي فيها ظلم العباد والتعدى عليهم لأنهم يفسدون بها العقول ويفرونها به.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نِصْيَانِ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبْتِ وَالْطَّاغُوتِ﴾.

هذه نزلت في اليهود. أخبر الله أنهم يؤمنون بالجحث وهو السحر، والطاغوت وهو الشيطان. وقال أهل اللغة: الجحث هو الشيء الذي لا خير فيه كالسحر والصنم وغيره، والطاغوت من الطغيان وهو تجاوز الحد ويطلق على الشياطين من الجن والإنس طواغيت أي تجاوزوا الحد بکفرهم وضلالهم.

قال جابر: الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشياطين في كل حي واحد. أي أن الكهان من الطواغيت، قال ابن القيم: الطاغوت: ما تجاوز العبد به حده من معبد أو متبع أو مطاع. متبع في الباطل ومطاع في غير الشرع ورؤسهم خمسة: إبليس، ومن دعا إلى عبادة نفسه كفرعون، ومن عبد وهو راض، ومن ادعى علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله متعيناً. والسحرة والكهان طواغيت لأنهم خرجن عن الطريق وأذوا الناس بما يتعاطونه.

وعن أبي هريرة قال قال: «رسول الله ﷺ اجتبوا السبع الموبقات . . .».

سميت موبقات لأنها مهلكات وأعظمها الشرك به ثم السحر لأن الغالب أنه منه لأنه عبادة للجن واستعانت بهم وتقرب إليهم، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، والتولى يوم الزحف يوم اجتماع الصفين للقتال فيخذل قومه ويتوسل، وقدف المحصنات المؤمنات الغافلات: قدفهن بالفاحشة.

غافلات: لأنهن في الغالب لا يشعرن بمن رماهن ويدخلن فيه قدف المحصنين

من الرجال وأنه من الكبائر ويستحق القاذف إقامة حد القذف ولكنه في النساء
أغلب فمن قذفهن حدّ.

مسألة: لا يجوز الذهاب للسحررة للعلاج وهو الصحيح عند أهل العلم، ولو
كان من باب التداوي، ولو لم يكن يرضى بذلك لأن الذهاب إليهم دعوة لهم إلى
الشرك وأن يفعلوا ما حرم الله، بل يتعاطى الأدوية الشرعية.

وعن جندي مرفوعاً: «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذى وقال
الصحيح أنه موقوف والصواب ما قاله الترمذى من أنه موقوف.

وقال هذا حينما كان ساحر في مجلس الوليد بن يزيد الفاسق وكان هذا
الساحر يقطع رأسه ويعيده بزعمه فاتاه الوليد من حيث لا يشعر وضربه بالسيف
وقال إن كان صادقاً فليعد رأسه، فقال جندي ذلك فهو من كلامه، وقد استنبطه
من الأدلة الشرعية.

ومراده: أن الساحر يقتل ولا يستتاب لأن توبته لا تمنع ضربه فربما يكذب
ويظهر التوبة ويقى ضرره على الناس فمتى ثبت سحره وجب قتله لشلا يضر
الناس.

وفي صحيح البخاري عن بحالة قال كتب عمر إلى أمراء الأجناد في الشام (أن
يقتلوا كل ساحر وساحرة).

لما سبق من ضررهم الذي لا يزال إلا بقتلهم ولربما يظهرون التوبة وهو كاذب
كالمافقين، والساحر يقتل كفراً ولا يستتاب على الصحيح.

وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلتها، لأنها علمت أنها
تعاطى السحر فقتلتها.

قال أحمد: صح عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ أي صح قتل الساحر
والثلاثة هم جندي وعمر وحفصة. وهذا هو الصواب.

فائدة: قال بعض أهل العلم ومنهم الشافعى: إن كان سحر الساحر بأشياء
معروفة تؤذى ولا تغير العقول بل تؤذى وتمرض ولا يكون فيه ادعاء لعلم الغيب،

ولم يكن من يستخدم الشياطين ويستعين بهم، ولم يكن يتعاطى ما حرمه الله من الشرك وغيره فهذا لا يقتل لأن هذا ليس من السحر بل هو من الأذى والظلم فيضرب ويؤدب. لأن المراد من قتل السحرة عند الصحابة هم الذين يستخدمون الجن ويعبدونهم ويدعون الغيب وهذا هو الغالب في السحرة فهذا يقتل وهو الصواب.

فائدة : ثبت أن النبي ﷺ قد سُحر لكنه لم يؤثر عليه شيئاً في أمور الرسالة وإنما كان فيما يتعلق بينه وبين أهله كما هو في الصحيحين.



٤٥- باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أَحْمَدُ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَثَنَا عُوْفٌ عَنْ حِيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَثَنَا قَطْنَنَ بْنَ قَبِيْصَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالْطَّرْقَ وَالْطِّيرَةَ مِنَ الْجُبْتِ».

قال عوف: العيافة؛ زجر الطير، والطريق الخط يُخط بالارض، والجbet قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد.

ولأبي داود والننسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اقْتَبَسَ شَعْبَةَ مِنَ النَّجْوَمِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شَعْبَةَ مِنَ السُّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ» رواه أبو داود، وإسناده صحيح. وللننسائي من حديث أبي هريرة «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَّثَ فِيهَا سُحْرًا، وَمَنْ سُحْرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعْلَقَ شَيْئًا وَكُلَّ إِلَيْهِ».

وعن ابن مسعود أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَلَا هُلْ أُنِبِّكُمْ مَا الْعُضَّةُ؟ هِيَ النَّمِيَّةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رواه مسلم.

ولهمما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسْحَرًا».

أراد المؤلف أن يبين شيئاً ما يسمى سحراً ليتبه المؤمن ويجهنها ويبتعد عنها وقد تسمى سحراً من جهة أنها تضر وتؤذى وإن لم تكن سحراً من جهة المعنى والحقيقة الذي هو استخدام الشياطين وعبادتهم فهذا سحر محض أما الثانية فهو يعلم عمل السحر ويؤذى وإن لم يكن سحراً في الحقيقة.

* قال أَحْمَدُ حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ... أَنَّهُ سَمِعَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالْطَّرْقَ وَالْطِّيرَةَ مِنَ الْجُبْتِ».

الجbet: السحر كما قال عمر رضي الله عنه.

والمعنى أن هذه يطلق عليها أنها من السحر من جهة ما فيها من الشر والفساد

ومن جهة ما قد يدعى أ أصحابها من علم الغيب.

والعيافة: زجر الطير كما قال عوف فيزجرون الطير ويذعرون أنها تدلهم على شيء فيتشاءمون بها تارة ويتيمون بها تارة أخرى وهذا من عمل الجاهلية. والطير ليس عندها خير ولا شر ولكن هذا من جهلهم وضلالهم كما يتشاءمون بالغراب والبومة أو حيوان سوء الخلقة، ويتيمون بالحيوان الحسن الخلقة ويقولون هذا مخرج طيب والعكس كذلك.

والطرق: الخط يخط في الأرض، ويقولون هذا يدل على كذا وأنه يحصل كذا وهذا قد يكون من العبث أحياناً وقد يكون تخيلاً وهو في الحقيقة خدمة للشياطين وأخذ بأقوالهم وطاعتهم ودعوى علم الغيب وكله كذب وهي لا تفيد شيئاً.

والجيت: قال الحسن رنة الشيطان.

الطيرة: هي التشاوم بالمرئي أو المسموع وهي محرمة ومن الشرك الأصغر وقد تكون أكبر إذا اعتقد بأن الطائر يتصرف في الكون أو يدبر شيئاً ولكن الغالب أنهم يتشاءمون بها فقط.

فكـلـ هـذـاـ مـنـ عـمـلـ الجـاهـلـيـةـ،ـ وـمـنـ الجـيتـ وـهـوـ السـحـرـ وـقـلـ الصـنـمـ أوـ الشـيـءـ الـذـيـ لـاـ خـيـرـ فـيـهـ،ـ وـالـمـقـصـودـ الزـجـرـ عـنـهـ وـالـنـهـيـ لـأـنـ فـيـهـ تـشـبـهـ بـالـجـاهـلـيـةـ وـالـجـاهـلـيـنـ.

* قوله لأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المستند منه أي قوله (إن العيافة والطرق والطيرة من الجيت). أما ما بعده فهو عند أحمد فقط.

* حديث ابن عباس مرفوعاً «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» رواه أبو داود وإسناده صحيح.

يدل على أن تعلم أمر النجوم في التأثير في الكون هو من أقوال المنجمين والمشعوذين وهو باطل ومنه التعلق بالنجوم في موت أحداً وحياته أو زوال ملك فلان وغيره.

زاد ما زاد: أي كلما زاد اقتباسه من النجوم زاد اقتباسه من السحر والشر، والمراد: علم أن للنجوم تأثير فهذا هو المنكر وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على

الحوادث الأرضية، أما الاستفادة من التنجوم وسيرها في معرفة القبلة والحر والبرد فلا بأس به لأنه من علم التسوير لا من علم التأثير وهو من نعمة الله. ومن الشتاومن بالزمان أن لا يذبح ولا يشتري ولا يعقد عقداً في صفر فهو عمل جاهلي. وللنمسائي من حديث أبي هريرة «من عقد عقدة ثم نفت فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك» ..

أراد المؤلف بيان ما تقدم من أنواع السحر وإن من هذه الأنواع العقد والنفث فالساحر يعقد عقداً ثم ينفت فيها بأنفسهم الخبيثة وأرواحهم مع تعاونهم مع الشياطين وخدمتهم له وبهذا يقع بعض ما أرادوا بإذن الله تعالى كما قال سبحانه **﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** أي بإذنه الكوني وقد ذكر الله السحر في قوله **﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعَقْدِ﴾** وهن السواحر.

والسحر قسمان:

- ١- قسم يكون بالعقد والنفث والأدوية الضارة وهذا موجود.
- ٢- قسم يكون بالتخيل والتلبيس والتزوير كما قال الله تعالى عن سحر فرعون **﴿يَخْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سُحْرِهِ أَنَّهَا تَسْعَى﴾** وقال **﴿وَجَاءُوا بِسُحْرٍ عَظِيمٍ﴾** فسماه عظيماً لما فيه من التلبيس والتخيل على الناس.

ومن سحر فقد أشرك: من تعاطيه السحر لأنه يكون بعبادة الشياطين ودعائهم.. ولهذا قال الله **﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانَ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ﴾** وقال **﴿وَمَا يَعْلَمُنَّ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولُا إِنَّا نَحْنُ فَنْتَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾** فدل على أن تعلمه يوجب الكفر.

وإسناد هذا الحديث فيه ضعف لأنه من رواية الحسن عن أبي هريرة. وقد ذكر جمع من العلماء أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة فيكون منقطعاً وهو من رواية عباد بن ميسرة وفيه ضعف لكن له شواهد من حيث المعنى.

من تعلق بشيء وكل إليه: فمن تعلق بالله وكل إلى الله، وكفاء الله ما أمه **﴿إِلَيْسَ اللَّهُ بِكُلِّ عَبْدٍ﴾** **﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ﴾** ومن تعلق بالسحر

والتمائم والشياطين وكله الله إليهم، ومن توكل على غير الله فقد خسر وهلك.
 * مسلم: عن ابن مسعود مرفوعاً (الا أنتكم ما العضه) هي النمية القالة بين الناس.

العضه: بفتح العين وتسكين الضاد قال في القاموس هي بمعنى السحر والكذب والنمية وذكره هنا لأن السحر يحصل به بهتان وكذب وتلبيس وغش على الناس وخيانة.

النمية والقالة بين الناس: سميت عضه لأنها تضر الناس ويترتب عليها من الكذب والفرية وشحد القلوب والإفساد بين الناس.

ولهذا قال يحيى بن كثير كما روى عنه ابن عبد البر (قد يفسد النمام والكذاب في الساعة أكثر مما يفسده الساحر في السنة) فشرهم كبير ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة غام».

ولهمما: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال «إن من البيان لسحراً».

البيان: الفصاحة والبلاغة لأن صاحب البيان قد يسحر الناس بأسلوبه وفصاحته فربما لبس عليهم الأمر وربما خدعهم وخفيت عليهم الحقائق.

وأصل الحديث قال الجمهور: إن فيه مدح البيان إذا كان في الحق.

وقيل: أنه يراد به الذم حكاه ابن عبد البر عن جماعة من العلماء.

ولكن يقال: إن البيان إذا كان في الحق والدعوة إلى الكتاب والسنة فهذا ممدوح. أما إذا أريد به الخداع واللبس فهذا ذم وعيب والحديث يحتمل الاثنين. والكتاب والسنة قد جاءت بأوضح البيان وأفصحه في بيان الحق ودعوة الناس.

وخطب رجل عند عمر بن عبد العزيز فأحسن فقال: هذا والله السحر الحلال.

٢٦- باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسألَه عن شيءٍ فصدقه لم تقبل له صلاةً أربعين يوماً». وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» ولا يبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقعاً.

وعن عمران بن حصين مرفوعاً «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحرَ أو سُحرَ له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه البزار بأسناد جيد.

ورواه الطبراني في الأوساط بأسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومن أتى» إلى آخره.

قال البغوي: العرافُ الذي يدَعُى معرفة الأمور بمقادمات يستدل بها على المسروق ومكان الصالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكافر هو الذي يخبر عن الغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يُخبر بما في الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العراف اسم الكاهن، والمنجم، والرماي ونحوهم، من يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون أباً جاد، وينظرون في النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

ونحوهم: من العرافين والرماليين والسحرة ومن يدعى علم الغيب.

والكافر: هو الذي له راءٍ من الجن أي صاحب وحكمهم أنه يجب القضاء

عليهم وتعزيرهم وتکذیبهم وعدم سؤالهم.

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال «من أتى عرافاً فسألة عن شيء فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً». بعض أزواجه هي حفصة كما قاله المخرجون.

صدقه: ليست هذه اللفظة في مسلم فعل المؤلف وهم أو نقله من نسخة فيها هذه الكلمة في مجموعة التوحيد: صدقه هي عند أحمد - فرواية مسلم تدل على أن السؤال المجرد لا يجوز لأن فيه رفعاً من شأنهم وسؤالهم وسيلة إلى تصديقهم وتعظيمها لقدرهم ولما يقرون به من الشعوذة فينبغي تركهم وتناسيهم وعند مسلم عن معاوية بن الحكم قال (ليسوا بشيء، ولا تأتوهم) احتقاراً لهم واعتراضاً عنهم وإماتة لهم ولشأنهم.

وعن أبي هريرة مرفوعاً «من أتى كاهناً صدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة من أتى عرافاً أو كاهناً صدقه.

يدل على أن إيتائهم لا يجوز وتصديقهم في ادعاء علم الغيب كفر لأن علم الغيب إلى الله وحده وهم ليسوا رسلاً وكذلك الكاهن كافر إذا ادعى علم الغيب ومن صدقه كفر لأنه لم يؤمن بقوله تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيجب الحذر منهم.

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود موقوفاً مثله.

وهذا له حكم الرفع لأنه لا يقوله من رأيه بل لا يكون إلا عن النبي ﷺ.

وعن عمران بن حصين مرفوعاً «ليس منا من تطير أو تطير له أو تکهن أو تکهن له». .

وهذا وعيد وترهيب لمن فعل هذه الأمور.

ليس منا: أي ليس من المتبعين لسنة رسول الله ﷺ.

اما التکفير فيؤخذ من أدلة أخرى فيها التفصیل وإن كان ظاهره التکفير.

فالتطير سواء لنفسه أو تطير له غيره برضاه أو تكهن بنفسه أو تكهن له غيره برضاه... أما التكفير فيه تفصيل كما تقدم. وتصديقهم كفر أكبر. ومن ادعى علم الغيب يستتاب وإلا قتل وإذا لم يدعى علم الغيب فإنه يعذر حتى لا يعود إليه. قال **البغوي** : العراف الذي يعطي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسرور ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل : هو الكاهن ، والكافر هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل : هو الذي يخبر بما في الصميم.

مقدمات : أي بأشياء ينظمها يستدل بها على مكان المسرور وقد يعرفها بالآثار كآثار الدابة ورعاها وهذه قد تقع لكن لا يكون من العرافين المذمومين إلا إذا ادعى علم الغيب أما الأمور الحسية فليست من هذا الباب.

عما في الصميم : فيقول أراد فلان كذا وقصد كذا بما يسأله صاحبه من الشياطين والجن .

فائدة : لا يجوز تعلم السحر أبداً حتى إذا قصد به فك السحر لأنه لابد وأن يترتب عليه عبادة لغير الله أو فعل محرم أو ترك واجب.

قال **أبو العباس** : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم من يتكلم في معرفة الأمور بهذا العراف.

وهذه تدل كلها - أي النصوص والآثار - على أن هؤلاء الكهنة والسحرة والرمالين هم المذمومون وهم الذين يدعون علم الغيب.

قال ابن عباس في قدم يكتبون أبا جاد وينظرون في التحوم .

أي حروف (أبجد) وهي حروف الهجاء . فيكتبون الحروف ويضمونها إلى بعض ويقولون : يقع كذا ويقع كذا .

ماله من خلاق : أي من حظ ونصيب لأن فيه ادعاء لعلم الغيب وهو كفر .

٢٧- باب ما جاء في النُّشْرَةَ

عن جابر (أن رسول الله ﷺ سُئل عن النُّشْرَة؟ فقال: هي من عمل الشيطان). رواه أحمد بسنده جيد وأبو داود. وقال: سُئلَ أَحْمَدَ عَنْهَا؟ فَقَالَ أَبْنَ مُسْعُودَ - يَكْرَهُ هَذَا كَلْهُ - .

وفي البخاري عن قتادة - قلت لابن المسمى رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أَيُّحْلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشِرُ؟ قال لا بأس به؟ إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِالإِصْلَاحِ فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَى عَنْهُ، اتَّهَى.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يَحْلُّ السُّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ.

قال ابن القيم: النُّشْرَةُ حَلُّ السُّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نُوْعًا:

حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن فيتقرّب الناشر والمترشّر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالْتَّعُودَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدُّعَوَاتِ الْمُبَاحَةُ فَهَذَا جَائِزٌ.

النُّشْرَةُ: حل السحر عن المسحور يقال نشر عنه إذا حل ما أصابه.

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئل عن النُّشْرَةَ فقال: «هي من عمل الشيطان».

يدل الحديث النهي عن النُّشْرَةِ المَعْرُوفَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَأَنَّهُ لِلْعَهْدِ الْذَّهْنِيِّ . وهي حل السحر على المسحور بسحر مثله.

من عمل الشيطان: لأن الساحر يتقرّب إلى الشياطين بما يحبونه من عبادتهم والنذر لهم فيسعفونهم بإعطائهم الإجابات بما يسألونه مما يخفى عليهم من عمل الساحر، وما فعله في المسحور فهذا من عمل الشيطان.

سئلَ أَحْمَدَ عَنْهَا فَقَالَ: أَبْنَ مُسْعُودَ يَكْرَهُ هَذَا كَلْهُ .

أي النُّشْرَةُ التي من عمل الشيطان والتي يتقرّب فيها إلى الشياطين.

وفي البخاري عن قتادة قلت لابن المسمى رجل طب... لا بأس به.

وهذا الكلام محمول على الحال الذي لا يأس به وهو الحال بالرقية والمعوذات والأشياء المباحة لأن هذا من الإصلاح والإصلاح مأمور به والمنكر منه عنه. وروى عن الحسن قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

أي لا يحله بالطرق الشيطانية إلا السحرة. أما حله بالطرق الشرعية فهذا يحله أهل العلم والبصائر وأهل الخبرة والتجارب ومن القراءة أن يقرأ عليه الفاتحة ويكرر عليه وآية الكرسي أو كلامها ويقرأ عليه آيات السحر في الأعراف وطه ويومن الكافرون والمعوذتين وينفتح مع القراءة ويقرأ عليه وعلى زوجته وهذه رقية استعملها العلماء ونفع الله بها.

ومن ذلك ما ذكره بعض المتقدمين أنه تؤخذ ورقات من شجر السدر الأخضر فتدق ويجعل في ماء ثم يقرأ عليه هذه الآيات فيشرب المسحور منه أو المحبوس ثلاث مرات ما تيسر ثم يغتسل بالباقي فيزول عنه ما أصابه. فهذه نشرة شرعية ومن المباح الأدوية المجرية التي لا محظور فيها ولا تكون نجسة ولا استعانت فيها بالشياطين ولا فيها ما حرم الله وهذا الحق والصواب.

قال ابن القيم: النشرة نوعانه ... وتقدمت.



٢٨- باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكُنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الاعراف: ١٣١].

وقوله ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ الآية [بس: ١٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدو ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» أخرجاه.

زاد مسلم - (ولا نوء ولا غول).

ولهمما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لا عدو ولا طيرة ويعجبني الفال. قالوا: وما الفال؟ قال: الكلمة الطيبة».

ولأبي داود بسنده صحيح عن عقبة بن عامر قال: (ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَالُ وَلَا تَرْدِ مُسْلِمًا فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْمُحْسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ).

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منها إلا... ولكن الله يذهب بالتوكل» رواه أبو داود والترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمر - «مَنْ رَدَّهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله إلا إلهك.

وله من حديث الفضل بن العباس «إِنَّمَا الطَّيْرَةَ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَكَ».

ولم يسجل شرح هذا الباب.

٤٩- باب ما جاء في التجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة **«خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النَّجُومَ ثَلَاثَ: زِينَةً لِلسمَاءِ وَرِجُومًا لِلشَّيَاطِينَ وَعَلَامَاتٍ يُهَتَّدِي بِهَا، فَمَنْ تَأْوَلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأً وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكْلِفُ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»** انتهى.

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهم. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ: الْجَنَّةَ مُدْنِيَّ الْخَمْرَ، وَقَاطِعُ الرَّحْمَ، وَمَصْدِقٌ بِالسُّحْرِ»**. رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

لما كان التجيم شائعاً معمولاً به ذكره المؤلف.

التجيم: مصدر نجم ينجم تجيمياً أي حذر وحدس بما يعتقد في النجوم والتجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية فينظرون في النجوم واجتماعها وافتراقها وظهورها وغروبها وتقاريرها وتباعدها ويستدلون بها على أنه يقع كذا وكذا، وهذا باطل من دعوى علم الغيب التي أبطلها الله بقوله ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

أما النظر في النجوم من باب التيسير لمعرفة منازل المقر لتحديد أوقات الصلاة والمطر فلا بأس به كما هو رأي أحمد وإسحاق بن راهويه.

* قال البخاري في صحيحه عن قتادة قال خلق الله هذه النجوم ثلاثة.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رِجُومًا لِلشَّيَاطِينَ﴾ .
وقوله ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ .

قوله من تأول فيها غير ذلك أخطأ . . . : بأن رعم أنها تدل على كذا وكذا من علوم الغيب فقد أخطأ . وأضاع نصيبه أي من الآخرة. وتتكلف ما لا يعلم.

قوله علامات يهتدى بها: هذا علم المنازل والتيسير.

وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه . . .

وهذا قول مرجوح لهما ورخص فيه أحمد وإسحاق وهو الصواب.

* عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا يدخلون الجنة ..

(مدمن خمر) هذا من باب الوعيد لأنه من كبائر الذنوب وصاحبها تحت المشية

إن لم يتتب إذا لم يستحلها فإن استحلها كفر.

(قاطع الرحم) كذلك من الكبائر.

(مصدق بالسحر): أي إذا صدق أنه حق وأنه يغير الأشياء وأن صاحبه على

حق وأنه مصيبة أو أن صاحبه يعلم الغيب فهذا يكون كفراً وصاحبها كافر.

أما إذا صدق بأنه موجود وأن له تأثير ولكن يعلم أنه حرام ومنكر فهذا لا

حرج فيه لأن الله أخبر أنه موجود كما قال تعالى «وَيَعْلَمُونَ مَا يَضْرُبُهُمْ وَلَا

يَنْفَعُهُمْ ».



٣٠- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: **﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾** [الواقعة: ٨٢].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن - الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم، والنباحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها سرير بالمن قطaran، ودرع من جرب) رواه مسلم.

ولهمما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: (صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصَّبِحِ بِالْحَدِيْبِيَّةِ عَلَى أَثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ الظَّلَلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عَبْدَيِّ مُؤْمِنٍ بِي وَكَافِرٍ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرَنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرَنَا بِنَوَءِ كَذَا، وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

ولهمما من حديث ابن عباس معناه وفيه - قال بعضهم:

(لَقَدْ مُطْرَنَا بِنَوَءِ كَذَا وَكَذَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ).

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ إِلَى قَوْلِهِ: (تَكَذِّبُونَ).

أي طلب السقيا وهو المطر. وقد شرع الله الاستسقاء به سبحانه. والاستسقاء: الضراعة إلى الله عند وجود الجدب. بدلاً ما عليه أهل الشرك من الطلب من النجوم والتعلق بها والاستغاثة بها و كانوا يستسقون بالنجوم وهي الأنواء وهي ثمان وعشرين نوعاً يتزلها الشمس والقمر في مدارها يتزلها القمر في الشهر والشمس في السنة وكان في الجاهلية يتعلقوها بها ويستغثون بها وهذا من شركهم وضلالهم كما قال سبحانه **﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾** تكذبون إنزال الله للمطر وإغاثته لكم وتسألون النجوم وتستغثون بها فكذبهم لذلك لأن هذه النجوم لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً من الأمر.

فوجب على المؤمنين الأخذ بما جاء عن النبي ﷺ والعمل به والخذل مما عليه
أهل الجاهلية ومن ذلك :

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا
يتزكونها .. أي لا يزال في الناس من يتعاطاها ويتأس بالكفرة. ومنها :

١- الفخر بالأحساب فيقول أنا ولد فلان ويتعظم بذلك ويحتاج على باطله
ويفتخر بها على الناس، والأحساب هو ما يكون للأباء من مآثر وشجاعة وجود
وكرم وهو من سنة الجاهلية لأن رفعة الإنسان بعمله أما عمل غيره فليس له.

٢- الطعن في الأنساب: بأن ينتقص الناس فيقول فلان ثغر وفلان حداد
وفيه كذا وكذا على سبيل التنتقص والعيب لا على سبيل الخبر فلا بأس فيه.

٣- الاستسقاء بالنجوم: فيقول سقينا بنوه كذا وكذا ويسألونها مباشرة.

٤- النياحة: إذا مات الميت صاحوا ومزقوا ثيابهم وتنفوا شعورهم ويعحرون
التراب عليهم وهو موجود عند بعض المسلمين فيجب الخدر منها ومحاريتها.

وفي الحديث «ليس من لطم الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية»
وقال «أنا برئ من الصالقة والحالاقة والشاقة» الصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة.
قوله والنائحة إذا لم تتب .. سريل من قطران ودرع جرب: الغالب في
النائحة أن تكون في النساء ولذلك عبر بالأنثى وقد يفعله الرجال. وهو محرم على
الرجال والنساء. وذكر القطران لأنه أشد في الاشتعال والأذى وكذلك الدرع من
الجرب مؤذى. وهذا بيان لسوء عاقبتها ومتقلبيها إلا إذا تابت.

مسألة: لا بأس أن لا يتزوج الإنسان من أناس ليسوا ذوي حسب وإن كانت
المرأة ذات دين خوفاً من أذى قومه ومضائقتهم له وهذه عادات ولا بأس فيها.
شرط أن لا يكون تركه لهم لتنقصهم واحتقارهم عنده.

فائدة: بعض القرى يذبحون الذبائح في رؤوس الجبال لينزل المطر وهذا من
الشرك الأكبر لأنه من الذبح للجن والأحجار والأصنام وقد ينزل المطر فيكون
ابتلاء لهم.

ولهمما عن: زيد بن خالد قال صلی لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحدیبة.

أثر سماء: أي أثر مطر، سمي سماء لأنه ينزل من جهة العلو.

فلما انصرف عن صلاته أقبل على الناس بوجهه: من عادته ﷺ أنه إذا سلم استغفر ثلاثاً وقال اللهم أنت السلام... ثم يعطي الناس وجهه ويدرك بقية الأذكار.

الله ورسوله أعلم: هذا من أدب الصحابة رضي الله عنهم وبعد موته ﷺ
يقال الله أعلم لأن الوحي انقطع فلا يعلم ما بعده كما في الحوض إلا ما يعرضه
الله عليه كالصلة عليه.

قوله فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب: لأن الله علم أن الله منزل الأمطار وهذا المطر من رحمة الله وفضله.

أما من قال مطرنا بنوء كذا: لأنه من أنواع الكفر، ولا يقول صدق نوء كذا أو سقينا بنوء كذا، بل يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته.

مطرنا بنوء كذا: أن قصد به أنه هو الذي خلق المطر وهو المتصرف في الكون
فهذا كفر أكبر وأن قصد أنه سبب لهذا المطر فهذا نوع من أنواع الكفر ولكنه كفر
أصغر لأنه ليس هو المتبسب بل كله من الله تعالى، والنجم ظرف من الظروف تقع
فيه الحوادث كما تقع في الأيام والليالي. أما إذا قال مطرنا في الصيف أو نحوه
فلا بأس لأنه أخبار عن الوقت. فالواجب الحذر من أخلاق الجاهلية والاعتراف
بنعمة الله سبحانه أ.ه.

٣١- باب قوله تعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].
 وقوله: ﴿وَقُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ إِلَى قَوْلِهِ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: ٢٤].

عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) أخر جاه؟

ولهمما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).
 وفي رواية «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى» إلى آخره.

وعن ابن عباس قال «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تناول ولاء الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مواхاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً» رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس في قوله (وتقطعت بهم الأسباب) قال: المودة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

هذا الباب في إثبات محبة الله وأنها من أهم العبادات وأفضل القربات وأساس الدين لأن حبه يقتضي الإخلاص له والامتثال لأمره، وترك نهيه والانقياد له والآية تبين أن من الناس من يستخدم أنداداً من الجن والأنس والأحجار يحبونهم كحب الله محبة عبادة فصار حبهم لهذه الأنداد كحبهم الله أو كحب المؤمنين لله وهو لاء ضلوا فأحبوا مع الله ونذروا وغضعوا ودعوا لمن أحبوا. ومحبة غير الله يجب أن تكون تابعة لمحبة الله كمحبة الرسل نحبهم لأنهم رسول الله فلا نحبهم محبة عبادة وكذلك المؤمنين نحبهم لأنهم أطاعوا الله فنؤاليهم، أما محبة الذل

والعبادة فهذه لله وحده لا يشاركه فيها أحد والمرشكون يصرفون هذه المحبة للأنداد وببعضهم يجرأ على الخلف بالله كاذباً ولا يجرأ على الخلف بالأنداد والشيوخ كاذباً ويقول هذه الأنداد أشد وأسرع انتقاماً من الله . والذين آمنوا أشد حباً لله : من محبة هؤلاء المشركين لأندادهم لأنهم أخلصوا العبادة لله وعرفوا حقه تعالى .

ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القسوة لله جميعاً : أي لو رأوا ذلك واستحضروه لأنجروا الله أكثر وعظموه وأخلصوا له ولكن جهلهم وقلة بصيرتهم أوقعهم في الشرك .

إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب : أي إذا رأى العبودون من أولياء الله والرسل تبرأوا من عبادتهم ويقولون « تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون » أما المحبة الطبيعية كمحبة الطعام والنساء والأولاد فهذه لا تقدح في محبة الله إذا لم تؤثر على محبة الله ، فإن زادت حتى صارت قادحة في محبة الله - كان يطيع زوجته في معصية الله - فإن هذه المحبة تكون منقصة للإيمان بقدر ما تؤثر على محبة الله فلابد أن تكون مقيدة بشرع الله .

* وعن أنس مرفوعاً « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس . . . » .

وهذا يدل على وجوب محبة رسول الله ﷺ محبة تليق به وتنقضى اتباعه وامثال أمره وترك نواهيه ولا تكون محبة عبادة بل تابعة لمحبة الله .

* وعن عائشة مرفوعاً « ثلث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان . . . » .

تدل على وجوب محبة الله ورسوله على غيرهما من الآباء والأبناء والأموال فيطيع الله ويعمل بأمره ولو خالف هو ولده أو زوجه أو غيرهما وهكذا الآية « قل إن كأن آباءكم . . . » تدل على وجوب تقديم الجهاد في سبيله إذا وجب التغير على هو النفس والأقارب وإلا كان متوعداً كما قال (فتربصوا) وهذا من أسباب كمال الإيمان ويجب عليه أن يبغض الكفر وأهله ويعتقد بطلانه .

وفي الحديث (سبعة يظلمهم الله ... وذكر وشابان تحاباً في الله اجتمعا عليه...).
 * وقال ابن عباس من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله ... طعم الإيام - أي حلاوته.

فإنما تناول ولایة الله بذلك: أي تناول ولایة الله بالملوأة والمعاداة في الله.

حتى يكون كذلك: أي يوالى ويعادي.

وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا: هذا في زمانه رضي الله عنهمما أي غالب على الناس الحب والبغض في الدنيا وهذا أمر خطير.

وذلك لا يجدي على أهله شيئاً: بل قد يضرهم إذا صدتهم عن الحق وخالفت شرع الله أما إذا اشتغلوا بالدنيا في البيع والشراء وطلب الرزق وكان لا يضر إيمانهم ولا يوقعهم في المعاصي ويستعينون بذلك على طاعة الله فهذا لا حرج فيه.

* قوله (وتقطعت بهم الأسباب) قال ابن عباس: المودة.
 أي التي كانت بينهم على غير دين الله. انقطعت يوم القيمة وخاتتهم وصارت عداوة.



٣٢- باب قوله تعالى

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوْفُ أُولَيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿آل عمران: ١٧٥﴾

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمَرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ١٨].

وقوله: ﴿وَمَنَ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابَ اللَّهِ﴾ الآية [النَّكِبَة: ١٠].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تمحدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالهم يُؤْتِكَ الله، إن رزق الله لا يجره حرصٌ حَرَبِصُ، وَلَا يَرْدِه كراهيَةً كَارَهَ».»

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضي الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضي عنده الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوْفُ أُولَيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أراد المؤلف أن يبين وجوب خوف الله تعالى خوفاً يحمله على الإخلاص له وأداء ما فرض عليه والوقوف عند حدوده، والخوف ثلاثة أقسام :

١- الخوف من الله وهو أعظمها وأوجبها ويجب فيه الإخلاص وصرفه لغيره شرك، شرك أن خاف منها أن تصيبه بمكروه.

٢- خوف يحمل على فعل معصية الله وترك الواجب وهو الخسوف من المخلوق وهو معصية وفيه نزل قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾ ويحمله على ترك الجهاد، والواجب أن لا يخاف الإنسان من المخلوق إلا خوفاً يحمله على ما شرّعه الله وأباحه ولا يحمله على المعاصي فالخوف من المخلوق في الأشياء الحسية والطبيعة جائز لا بأس به فهو فطري ويشرع الخدر من مقتضاه كالخوف من

اللص فيغلق بابه أو يخاف من سبع فيحمل السلاح أو المرض ونحوها، والترجمة في النوع الثاني وهو الذي حدث في أحد من بث الشيطان الخوف في قلوب المؤمنين من الكافرين والتسبیط عن الجهاد فنهاهم الله وأمرهم بالثبات فتفرق إليهم النبي بعد أحد ولم يحصل قتال لأنهم فروا.

٣- الخوف الطبيعي من اللص والسبع والمرض ونحوه.

وقوله ﴿إِنَّمَا يَعْمَرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.. وَلَمْ يَخْشُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا الخوف الذي أوجبه الله ويستنى منه الخوف الطبيعي العادي.
قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾.

هذا ذم لهم وهو أن بعض الناس إذا أُوذى لم يصبر بل يحمله الخوف على فعل ما حرم الله وترك طاعة الله وما أمر به وهذا مذموم لأن الواجب أن يتقي الله وإذا أُوذى في الله أخذ بالأسباب الشرعية من طلب المحاكمة والشكوى إلى ولاة الأمور وغير ذلك.

*وعن أبي سعيد مرفوعاً «إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله». أي من ضعف الإيمان أن تسخط الله لترضى الناس وأن تشكر الناس على النعمة التي ساقها الله إليك بواسطتهم الواجب أن تشكر الله وإذا فعلوا معروفاً لك فإنهم يشكرون ويجازون لكن الحمد كله لله وحده هو الذي هداهم وجعلهم يحسنون إليك، فيجب حمد الله أولاً وتحصيصه بذلك وتشكر المخلوقين على قدر إحسانهم ومعروفهم (ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله) ولكن يكون حمد الله أعظم لأنه هو المسبب في ذلك فحرك قلوبهم إلى الإحسان إليك.

وأن تذمهم على ما لم يؤتوك الله: أي تذم لأنهم لم يصنعوا لك الخير الذي لم يكتبه الله لك الواجب أن تسأله الله من فضله وإذا كان حرقك عندهم فإن الله لا يضيعه وسوف تأخذه يوم القيمة. وهذا لا يمنع أن يطالب الإنسان بحقه كحقه في الزكاة إن كان من أهلها ولكن لا يذمهم من أجل عدم إعطائهم بل يذم من ذمه

الله ويحمد من حمده الله فذمهم لأنهم منعوا حق الله وفعلوا ما لا يبني لا من أجل أنهم لم يعطوك فلا تنتقم لنفسك.

قوله: إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهة كاره: أي الذي لم يقدر لك لا يأتي بالحراص عليه بل عليك بأخذ الأسباب ولكن إذا لم يحصل المطلوب فإنه لا يعجز وما قدره الله من الرزق لا يرده أحد ولو كره الناس.

* حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال « من التمس رضي الله بسخط ... ».

هذا يدل على أنه يجب على المسلم أن يتمس رضي الله ويأخذ بالأسباب لأنه إذا رضي الله حصل له كل خير وإذا سخط حصل له كل شر.

ولكن إرضاء الله لا يمنع من الأخذ بالأسباب التي تدفع سخط الناس وإيذاءهم ولكن بدون سخط الله أما إذا كان يسخط الله فإنه لا يفعله ولا يخافهم ويتوكل على الله.

وفي رواية عن عائشة (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله ومن التمس رضا الناس بسخط الله لم يغنو عنه من الله شيئاً وعاد حامده له ذاماً).

* * *

٣٣- باب قوله تعالى

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآية [النادرة: ٢٣].

وقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية [الأنفال: ٢].

وقوله: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: ٣].

وعن ابن عباس قال: (حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري والنسائي.

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾.

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه في جميع أمور الدين والدنيا والتوكل هو التفويض إلى الله والثقة به والإيمان بأنه مسبب الأسباب وكل شيء بيده وما شاءه كان وما لم يشاء لم يكن ويعلم أن القدر قد سبقه بكل شيء وليس للعبد قدرة على أي شيء لم يشاء سبحانه وتعالى مع الأخذ بالأسباب.

وقوله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ .. ﴾ وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسِبْكَ اللَّهُ .. ﴾ وقوله ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾.

أي كافيك الله وكافي أتباعك عن كل أحد ومن كفاه الله ما أهمه لم يحتاج إلى أحد فالواجب على المؤمن أن يتوكل على الله مع أخيه بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه وترك الأسباب التي تضره في دينه ودنياه. فيعمل الطاعات ويترك المعاصي لينال الجنة ويأكل ويشرب ويتجنب ما يضره لأن هذا سبب حياته فهذا لا ينافي التوكل بل التوكل مجموع الأمرين :

- ١- الثقة بالله وأنه مسبب الأسباب ومصرف الأمور وكل شيء بيده.
- ٢- الأخذ بالأسباب.

وليس التوكل ترك الأسباب كما تقول الصوفية بل لابد من الأمرتين ويستعين بالله في ذلك.

حديث ابن عباس قال **﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾** قالها إبراهيم حين .. قالها إبراهيم فأنجاه الله من النار حين القاء النمرود وقال **﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾** فكفاه شرها وشرهم ونجاه منهم وصارت آية معجزة تدل على صدق رسالته وقال محمد **ﷺ** بعد أحد حين قالوا له أن المشركين قد جمعوا لكم ليكروا عليكم ثانية فقال **﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾** فكفاه الله.

وهكذا ينبغي للمسلم أن يقولها عند الشدائدين لكن هذا لا يمنع من الأخذ بالأسباب لأن النبي قالها وقد لبس الدرع ومحل السلاح ووضع الخوذة على رأسه وكذلك فعل أصحابه. ويوم الأحزاب حفر الخندق. قال تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾**.

* * *

٣٤- باب قول الله تعالى

﴿أَفَأَمْنَوْا مَكْرَهَ اللَّهِ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَهَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الاعراف: ٩٩].

وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [المجر: ٥٦].

وعن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».

وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط

من رحمة الله، واليأس من روح الله» رواه عبد الرزاق.

﴿أَفَأَمْنَوْا مَكْرَهَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَهَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

هذا الباب لبيان تحريم الأمان من مكر الله والقنوط من رحمة الله وبيان بعض

هذه الكبائر.

فالآمن من مكر الله من الكبائر وهو يفضي إلى التساهل في محارم الله لأن من أمن من مكر الله ساءت أعماله وأخلاقه وتصرفاته ولم يخف الله، والقنوط هو اليأس من رحمة الله، كذلك فإنه يسوء ظنه بالله وتنكسر نفسه وتحترق. والواجب أن يكون المسلم بين الأمرين فيرجو الله ويخاف ذنبه ومعاصيه فلا يغرق في المعاصي ويأمن مكر الله، وكذلك لا ييأس من رحمة الله بل يكون كالطير بين الجناحين، وفضل بعض العلماء جانب الخوف في حال الصحة لأنه أقدر على المعاصي وجانب الرجاء في حال المرض لأنه يضعف من الأعمال والطاعات والأصل أن يكون بينهما.

* حديث ابن عباس مرفوعاً سئل الرسول عن الكبائر فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله».

هذا يروى مرفوعاً وموقاً والموقف له حكم الرفع لأنه لا يقال بالاجتهاد وربما قالها ابن عباس عن نفسه اجتهاداً واستدلاً بالنصوص. والكلام صحيح على كل حال.

* قال ابن مسعود أكابر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله ..
والشرك أعظم الذنوب وبه تحبط جميع الأعمال. وكذلك القنوط وهو شدة
اليأس وهو من الكبائر لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.
هذا استفهام بمعنى النفي أي أن هذا من صفاتهم فقط والكبائر الأخرى غير
الشرك لا تحبط به الأعمال.

* * *

٣٥- باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى «وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» [التغابن: ١١].

قال علقة: هو الرجل تصييـه المصيبةـ فـيعلم أنهاـ منـ عندـ اللهـ فـيرضـىـ ويـسـلمـ. وفيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ. عنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ: أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ: «الـثـنـانـ فـيـ النـاسـ هـمـاـ بـهـمـ كـفـرـ: الطـعـنـ فـيـ النـسـبـ وـالـنـيـاحـةـ عـلـىـ الـمـيـتـ». ولـهـماـ عـنـ اـبـنـ مـسـعـودـ مـرـفـوـعـاـ: «لـيـسـ مـنـاـ مـنـ ضـرـبـ الـخـدـودـ وـشـقـ الـجـيـوبـ، وـدـعـاـ بـدـعـوـيـ الـجـاهـلـيـةـ». وـعـنـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ: «إـذـاـ أـرـادـ اللـهـ بـعـبـدـهـ الـخـيـرـ عـجـلـ لـهـ بـالـعـقـوـيـةـ فـيـ الـدـنـيـاـ، إـذـاـ أـرـادـ بـعـبـدـهـ الـشـرـ أـمـسـكـ عـنـ بـذـنـهـ حـتـىـ يـوـافـيـ بـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ» وـقـالـ النـبـيـ قـالـ: «إـنـ عـظـمـ الـجـزـاءـ مـعـ عـظـمـ الـبـلـاءـ، وـإـنـ اللـهـ تـعـالـىـ إـذـاـ أـحـبـ قـوـمـاـ اـبـلـامـ فـمـ رـضـىـ فـلـهـ الرـضـاـ، وـمـنـ سـخـطـ فـلـهـ السـخـطـ» حـسـنـ التـرـمـذـيـ.

أراد المؤلف أن يبين أن الصبر على ما يقدر الله من الإيمان، وإن المؤمن لا ينبغي له أن يجزع عند المصيبة في نفسه أو ولده أو ماله أو أهله بل يتحمل قال تعالى: «وَبِشـرـ الصـابـرـينـ الـذـيـنـ إـذـاـ أـصـابـتـهـمـ مـصـيـبـةـ قـالـواـ إـنـاـ لـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ» هذا بعد قوله «وَلـنـبـلـونـكـمـ بـشـيـءـ مـنـ الـخـوـفـ . . .» وـقـالـ «وـاـصـبـرـواـ إـنـ اللـهـ مـعـ الـصـابـرـينـ» «إـنـاـ يـوـفـيـ الصـابـرـونـ أـجـرـهـمـ بـغـيـرـ حـسـابـ» وفيـ الـحـدـيـثـ (وـمـنـ يـتـصـبـرـ يـصـبـرـهـ اللـهـ وـمـاـ أـعـطـىـ أـحـدـ عـطـاءـ خـيـرـاـ وـأـوـسـعـ مـنـ الصـبـرـ).

وقوله «وـمـنـ يـؤـمـنـ بـالـلـهـ يـهـدـ قـلـبـهـ» قال علقة: هوـ الرـجـلـ تصـيـيـهـ المـصـيـبـةـ.. أيـ يـؤـمـنـ بـاـنـ اللـهـ قـضـىـ وـقـدـرـ المـصـيـبـةـ فـيـحـتـسـبـ وـلـاـ يـجـزـعـ وـيـهـدـيـ اللـهـ قـلـبـهـ للـخـيـرـ وـيـطـمـنـهـ وـيـسـدـهـ بـسـبـبـ عـمـلـهـ الـطـيـبـ. قالـ عـلـقـةـ هوـ الرـجـلـ تصـيـيـهـ المـصـيـبـةـ فـيـعـلـمـ أنـهـ مـنـ عـنـ اللـهـ فـيرـضـىـ وـيـسـلـمـ وـقـبـلـهـ «مـاـ أـصـابـ مـنـ مـصـيـبـةـ إـلـاـ بـاـذـنـ اللـهـ».. *وفيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ عنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ قـالـ «الـثـنـانـ فـيـ النـاسـ هـمـاـ بـهـمـ كـفـرـ..» الطـعـنـ فـيـ الـأـنـسـابـ: أيـ التـنـقـصـ فـيـ الـأـنـسـابـ تـكـبـرـاـ وـتـعـاظـمـاـ عـلـىـ النـاسـ

واحتقاراً لهم فهذا من الكفر المنكر أي شعبة من شعب الكفر وهو كفر دون كفر وهو من الكفر الأصغر لا الأكبر. وهو من خصال الجاهلية وفي الحديث السابق «أربعة في أمتي من أمر الجاهلية». أما إذا قصد بالنسبة التعريف بالناس فلا بأس ولا يدخل في الحديث.

النياحة على الميت: هذا يدل على الجزع وهو رفع الصوت بالصياح والنياحة فلا يجوز، أما دمع العين وهو البكاء فلا بأس كما في الحديث (والعين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي الله وإنما على فرائك يا إبراهيم لحزونون). *حديث ابن مسعود مرفوعاً «ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا...». وهذا يدل على الجزع أيضاً وهو من عمل الجاهلية ويجب الصبر والثبات والعلم بأن الله قدر هذه الأقدار وقسمها ولابد من الموت ومع هذا يتعاطى الأسباب الشرعية. وفي الحديث «أنا بريء من الصالقة والحاقة والشاقة».

*عن أنس مرفوعاً «إذا أراد الله بعده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد...». إذا أراد بعده تكفير السينات عجل له العقوبة إما بالفقر وإما بالمرض أو تلف ماله... فيكفر الله بها خطاياه وسيناته وإذا أراد الشر أمسك عنه بذنبه فيكون معافي في كل شيء حتى يوافي ذنبه كلها في الآخرة فيكون أشد من الدنيا.

فبكلة المصائب قد يحيى بها جميع المعاصي والسينات فعليه بالصبر.

وقال النبي ﷺ «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء...».

أي كلما عظم البلاء عظم الجزاء فإذا اشتد المرض وكثُر فيكون التكفير أكثر وإذا اشتدت المصيبة في المال وغيره صار الجزاء أعظم والثواب أكثر.

قوله «وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم» أي ابتلاهم ليمحص ذنبهم ويزيل خطاياهم حتى يلقوه سالمون من الذنوب فيدخلون الجنة من أول وهلة ومثل هذا حديث «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالآمثل يبتلى المرء على قدر دينه» وفي رواية «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالآمثل يبتلى المرء على قدر دينه» فإذا كان دينه قريباً شدد عليه البلاء.

٣٦ - باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَنَ إِلَيْكُمْ أَنَّمَا إِلَّا هُنُّ كُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾** الآية [الكهف: ١١٠].

وعن أبي هريرة مرفوعاً: قال الله تعالى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ، مِنْ عَمَلٍ أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشَرَكَهُ. رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: (الَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عَنِي مِنَ الْمُسِيْحِ الدِّجَالِ؟ قَالُوا: بَلِّي، قَالَ: الشَّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَصْلِي فِيزِينُ صَلَاتِهِ، لَمَا يَرِي مِنْ نَظَرٍ رَجُلٌ). رواه أحمد.

هذا الباب عقده المؤلف للتحذير من الرياء، والرياء مصدر راءى يرائي: أي أظهر عمله ليراه الناس ويثنوا عليه أو ليحصل به غرضاً دنيوياً، أو يسمع بقراءته وتبسيحه أو أمره بالمعروف ونفيه عن المنكر ولهذا جاء في الحديث (من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله به) وفي رواية «من رأى الله به، ومن سمع ...» أي يفضحه والجزاء من جنس العمل والواجب على المسلم أن يخلص العمل ويرجو الثواب من الله.

* قوله **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يَشْرُكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾**.

العمل الصالح لابد فيه من أمرتين:

- ١- الإخلاص لله وحده في جميع أنواع العبادات.
- ٢- أن يكون موافقاً للشريعة وليس بدعة.

فمن كان يرجو لقاء الله صادقاً في رجائه فليعمل عملاً صالحاً موافقاً للشريعة ولا يشرك بعفادة ربه أحداً.

* وعن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى «أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ مِنْ عَمَلٍ ...».

هذا بيان براءة الله من الأعمال التي فيها شرك وأن الله لا يقبل عملاً فيه شرك لغيره، وفي لفظ «أنا برئ منها بل هي من أشركه» فهذا يدل على وجوب الإخلاص.

* وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد مرفوعاً «ألا أخربكم بما هو أخو福 عليكم عندى من الدجال...».

ويقول الله يوم القيمة للمرائين «اذهبوا إلى من كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء» وهذا يدل على خطورة الرياء خاصة على العباد. فخاف على الصحابة وهم أفضل الناس، لأن الرياء يقع في الصالحين ويستلون به كغيرهم ويتساهلون به.

والدجال يمكن أن يعرف بعلامات لكن الشرك الخفي أشد منه لأنه يكون في القلوب، ولا يطلع عليه الناس لكن قد يعرف بعلامات تظهر على صاحبه ويقول النبي فيما صر عنه «أخو福 ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه قال الرياء يقول الله يوم القيمة للمرائين...».

* * *

٣٧- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّتَهَا نُوَفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا»

الآياتين [مود: ١٥، ١٦].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: تَعْسُ عَبْدَ الدِّينَارِ، تَعْسُ عَبْدَ الدِّرْهَمِ، تَعْسُ عَبْدَ الْخَمِيسَةِ، تَعْسُ عَبْدَ الْخَمِيلَةِ إِنْ أَعْطَى رَضْيًّا وَإِنْ لَمْ يَعْطِ سُخْطًّا، تَعْسُ وَانْتَكْسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا اِنْتَقْشَ، طُوبَى لِعَبْدِ أَخْذِ بَعْنَانَ فَرْسَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسَهُ، مَغْبِرَةً قَدْمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحَرَاسَةِ، كَانَ فِي الْحَرَاسَةِ إِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ أَسْتَأْذِنَ لَمْ يُؤْذِنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ).

الشرك نوعان أكبر وأصغر، وهذا قد يكون من الأكبر وтارة يكون من الأصغر. فإذا أراد بإسلامه ودخوله الدين الدنيا فهذا شرك أكبر كالمافقين فهم في الدرك الأسفل من النار. وتارة يكون أصغر كمن يرائي بقراءته وأمره ونهيه أو يجاهد لأجل الغنيمة ليس لله وهو مؤمن مسلم لكن تعرض له هذه الأمور. قال تعالى «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّتَهَا نُوَفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ لَا يَبْخَسُونَ» أي لا ينقصون. «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وهذا وعد. والأية في الكفار الذين عبدوا الله لأجل الدنيا كالمافقين، وعمومه يوجب الخنزير من إرادة الإنسان بعمله الدنيا ولو كان ذلك في بعض الأمور.

وهكذا قوله تعالى «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرَثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا نَوَّهَ مَنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» وكذلك قوله «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لَمْ يُرِيدْ ثُمَّ..» وفي الآية قيد إطلاقه الآية السابقة وهو أن ليس كل من أراد الدنيا تحصل له فقد يحصل له بعض ما أراد. قوله «مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فالإرادة لا تكفي وحدها بدون السعي والإيمان فلابد من عمل وإيمان بالله وتوحيد له وإخلاص فهذا

هو الذي يكون سعيه مشكوراً من الله ومن المؤمنين.

فيدل على وجوب الإخلاص وأن العمل يبطل مع الشرك بالله.

* وفي الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار».

في الصحيح: صحيح البخاري.

الخميلة: كباء سادة ليس فيه نقوش.

الدينار: من الذهب.

الدرهم: من الفضة.

الخميصة: كباء له أعلام منقوش.

أي تعس من هذا قصده بعمله ودخوله في الإسلام أو عمل ما أظهره من أعمال الإسلام فتعس من كان عمله لأجل النقود وهذا المتاع كالمنافقين وغيرهم لأنه يذهب ثوابه ويحصل له الإثم والوزر، فدعى عليه بالتعasse والانتكasaة.

إذا شيك فلا انتقش: أي فلا يوجد من يخرجها وهذا دعاء عليه بتعسir الأمور وسوء العاقبة.

طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أي من شدة عنایته وانشغاله بالجهاد غير متفرغ للعنایة بتوجيه شعره ودهنه ونحوه وغير متفرغ لتنظيف بدنه.

إذا كان في الحراسة كان في الحراسة.. أي مغمور في الناس غير معروف وهذا من كمال إخلاصه وصدقه فلا يتحرى مناصب الأمور ومعاليها ولا التقدم عند الملوك والأمراء والوجهاء فلهذا لا يعرفونه. فهذا له الجنة والكرامة بخلاف المنافق ومن كان عمله للدنيا في أمره ونهيه وجهاده أو غير هذا من شئون الدين فقد حبط عمله.

٣٨- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد

اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس: يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: **﴿فَلَيَحْذِرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور: ٦٣].

أندرني ما الفتنة، الفتنة الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الرزغ فيهلك.

وعن عدی بن حاتم: «أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: **﴿إِنَّكُمْ تَرَكُونَ أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾** الآية [الغوبية: ٣١]. فقلت له: إنما لستَ تعبدُهم. قال: أليس يحرمون ما أحلَّ الله فتحرموه، ويحلون ما حرم الله فتحلُّونه؟ فقلت: بلى، قال: فتَلَكَ عِبَادَتَهُمْ». رواه أحمد والترمذی وحسنه.

أراد المؤلف بهذه الترجمة تحقیق التوحید واتباع الشريعة وتعظیم أمر الله ونهیه والخذل من تقليد الشیوخ والأمراء فيما يخالف شرع الله وهو التقليد الأعمى. فالواجب على أهله العلم والإيمان أن يعظموا أمر الله ونهیه وأن يحلوا ما أحل الله وأن يحرموا ما حرم الله ورسوله وأن لا يطیعوا أحداً في خلاف ذلك فالطاعة إنما تكون في المعروف فطاعتهم في خلاف شرع الله حرام، ولا طاعة لخلقوق في معصية الخالق، فلا يطیع والده أو ولده أو زوجه في خلاف الشرع من الخل والحرمة.

وطاعتهم فيما يخالف الشرع هو اتخاذهم آلهة من دون الله كما سیأني إن شاء الله.

* قال ابن عباس يُوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله ﷺ وتقولون..

يوشك: يقرب.

حجارة من السماء: وعید لهم بالعقوبة.

المعنى: أحتاج عليكم في المسألة بأمر الله ورسوله فتختلفون وتردون على بخلاف أمر الله ورسوله بقول أبي بكر وعمر. فهذا يدل على أنه لا يجوز مخالففة أمر الله ورسوله ولو قال أبو بكر وعمر وهم خير الناس بعد الأنبياء فمن دونهم من باب أولى أن لا يطاعوا فيما يخالف الشرع. وهذا حث من ابن عباس على اتباع الشرع والخذل من تعظيم الرجال فيما يخالف الشرع.

* قال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى قول سفيان. أي عرفوا أنه صحيح إلى النبي ﷺ والصحابة. وهذا من إنكار الإمام أحمد على من يفعل ذلك وأنه لا يليق به. ثم قال: والله يقول ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصييهم فتنة أو يصييهم عذاب أليم﴾ الفتنة: الشرك لعله إن رد بعض قوله أن يقع في شيء من الزيف فيهلك: فيخشى عليه من الفتنة أن يفتتن ويقع في الشرك والردة، وهذا فيه حذر أيضاً عن مخالفته النص وإن كان المخالف عالماً عظيماً. وكان الصحابة ومن بعدهم يصرحون بأنه لا يجوز طاعتهم في مخالفته أمر الله ورسوله. فالوعيد فيما استحل المحرم بفتوى زيد وهو يعلم أنه خلاف الشرع.

* عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي يقرأ ﴿اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون ..﴾.

فمن أطاع العلماء والأمراء في تحليل الحرام أو العكس واعتقد أن هذا جائز مع العلم بأنه خلاف شرع الله فهذا يكون عبادة لهم وكفر أما إذا اتبعهم جهلاً أو اجتهاداً فهذا لا يكون عبادة لهم ولا يدخل في الوعيد لأن الإنسان مطالب بسؤال العلماء والأخذ بفتواهم فيما لا يعلم مخالفته لشرع الله.

٣٩- باب- قول الله تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الْطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعْدَ أَنْ هَدَىٰهُمُ الْآيَاتِ﴾ [النَّاس: ٦٠].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾

[البقرة: ١١].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الاعراف: ٥٦].

وقوله: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبَغُونَ﴾؟ الآية [المائدة: ٥٠].

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمِن أحدكم حتى يكون هواه ببعاً لما جئت به» قال التووبي: حديث صحيح رواه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: تتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرسورة، وقال المنافق تتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرسورة، فانتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية.

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافق إلى النبي ﷺ. وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافقا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة فقال للذى لم يرض برسول الله ﷺ أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الْطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعْدَ أَنْ هَدَىٰهُمُ الْآيَاتِ﴾.

أراد المؤلف بيان التحذير من التحاكم إلى غير الله وأن الواجب التحاكم إلى شريعة الله في كل الأمور كما قال تعالى ﴿فَلَا وَرِبَكَ لَا يَؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكُمْ﴾

فيما شجر بينهم ﴿... الآية. وقال تعالى ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَعْجِزْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ - الْفَاسِقُونَ - الظَّالِمُونَ﴾ فهذه تدل على وجوب التحاكم إلى شرع الله وأنه لا يجوز التحاكم إلى غيره كائناً من كان وهذا أصل مجمع عليه.

وتبين الآية أن بعض الناس يدعى الإيمان والإسلام وهو ليس كذلك بل هو من المنافقين. فإذا جاءت الحوادث والخصومات طلبو التحاكم إلى غير الله وإلى الطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله وكل من حكم بغير ما أنزل الله عن عمد وهوى، فالمنافقون يريدون من يواافق هواهم ويأخذ الرشوة ليحكم لهم بغير شرع الله وهذا دليل على نفاقهم وهذا شأنهم الإعراض عن الحق كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صَدُودًا﴾ فالواجب الحذر منهم ومن أخلاقهم الذميمة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

فيزعمون أنهم مصلحون مع إفسادهم لجهلهم وضلالهم ونفاقهم انقلبوا عليهم الأمور حتى صار الفساد صلاحاً ولهذا قال تعالى ﴿وَلَكُنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

صلاح الأرض باتباع الشع وتحكيمه، وفسادها بمخالفة أمر الله والتحاكم إلى غيره.

﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

أي يريد هؤلاء المتهاكمين إلى اليهود وغيرهم من الطواغيت التحاكم إلى حكم الجاهلية، وهل هناك حكم أحسن من حكم الله؟ فهو أعلم بمصالح عباده والعالم بما تنتهي إليه أمورهم وعواقبهم فهو عالم بكل شيء.

* عن عبد الله بن عمر مرفوعاً « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هُوَ تَبَعًا لَّا جُنْتَ بِهِ ». أي لا يؤمن الإيمان الكامل الواجب حتى يكون هواه وإرادته وقصده وطلبه

تبعاً لما جئت به وهكذا ينبغي أن تكون ميول المؤمن ونياته خاصة لحكم الله.
وضعف بعض العلماء هذا الحديث ولكن معناه صحيح.

قال الشعبي: كان بين رجلين من المنافقين واليهود خصومة وقيل ..
فهذا يدل على أن المنافق أشر من اليهود لأنهم يلبسون على الناس أمرهم
ويحصل بهم الضلال فصاروا بذلك في الدرك الأسفلا من النار.
فالواجب التحاكم إلى شرع الله وعدم الرضى بغيره، وتدل قصة عمر أن
التحاكم إلى غير شرع الله كفر وردة، ومن كره حكم الله فهو كافر.
وفي القصتين. نظر لكن المعنى صحيح.
الشعبي: عامر بن شراحيل.

فائدة: « خلق الله آدم على صورته » أي خلق الله آدم سمعاً بصيراً متكلماً ذا
وجه ويد وقدم ونحوه ما هو ثابت فالله يسمع وآدم يسمع والله متكلم وآدم
متكلماً .. ولكن لا يشبهه في الذات ولا في الصفات « ليس كمثله شيء ».
أما من قال أنضمير يرجع إلى آدم فخطأ وقد صد الفرار من التشبيه.



٤- من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: **«وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ»** الآية [الرعد: ٣٠].

وفي صحيح البخاري: قال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟» وفي روى عبد الرزاق عن معاذ عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس «أنه رأى رجلاً اتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه؟»؟ انتهى. ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أبكروا ذلك فأنزل الله فيهم: **«وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ»**.

هذا الباب عقده المؤلف لبيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل وأن لا يغتر بأقوال أهل الإعتزال وأهل الباطل، بل يجب الأخذ بما قاله أهل السنة والجماعة من الصحابة ومن سلك سبileهم وهو الذي جاءت به الرسل جاءوا بإثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق به، وهكذا فعل الصحابة وتابعوهم أمرموا آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت وأثبتوا ما دلت عليه من الأسماء والصفات عملاً بقوله **«فَلَمْ يَكُنْ لِّلَّهِ أَحَدٌ** **وَلَمْ يَكُنْ لِّلَّهِ أَنْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ»** **«فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ** **الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»** **«لَيْسَ كَمِثْلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»** **«هَلْ تَعْلَمُ لِهِ سَمِيًّا؟** أي لا سمي له ولا كفوء له سبحانه وتعالى.

وأنكرت الجهمية الأسماء والصفات وتأنلوا الأسماء حتى صاروا معطلة ومقتضى قولهم نفي وجود الله بالكلية ولهذا حكم عليهم أهل السنة بالكفر، والواجب قتلهم إن لم يتوبوا فيستabilوا لذلك لأنكارهم ما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة والإجماع. وأطلق المؤلف الترجمة ولم يحكم على جاحد الأسماء والصفات وحكمه الكفر. * قوله تعالى **«وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ»**.

يبيّن الله تعالى أن الرحمن هو ربنا وألهنا وأن كفر الكافرين بالرحمن كفر بالله

فيجب على المؤمن أن يحذر من صفات هؤلاء الضالين، وعليه أن يسلك مسلك أهل العلم والإيمان. وسمى إنكارهم الصفة: كفر بالرحمن فدل على كفر من أنكر الصفات. *وفي صحيح البخاري قال على: «حدثنا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله».

لفظ البخاري «أكذب أن يكذب الله ورسوله» فالمؤلف رواه بالمعنى.

والمعنى: أنه يجب على الواقع والمذكر أن يذكر الناس بالألفاظ التي يعرفونها والأساليب التي يعلقونها حتى يستفيدوا ويتفعوا. لأن كل قوم لهم أساليب لأنك إذا حدثت قوماً بما لا يفهمون قد يصدقونك على غير ما أردت. وقد يفهمون غير ما قصدت. سواء في أسماء الله وصفاته أو أحكامه سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الأردية أو غيرها. والعرب أنفسهم يختلفون في فهمهم فيحدث كل أناس بما يعرفون من العبارات التي اعتادوها حتى يفهموا ما قلت وحتى لا يكذب الله ورسوله.

وهو الذين كذبوا الله ورسوله في لغات الصفات وقعوا في خطر عظيم لأنهم تأولوا الصفات على غير تأويله وتكلموا فيها بغير ما ينبغي حتى عطلوا صفات الله. وكثير منهم قد يكون فهم الأمر على غير ما هو عليه لعجمته، كما قال بعض السلف لعمرو بن عبيد قال: إن العصاة مخلدون في النار لأن الله أوعدهم بذلك. فقالوا له إن الله يخلف إيعاده ولا يخلف موعده. لأن إخلاف الإيعاد كرم وجود وأما إخلاف الموعيد فلؤم ولهذا يتزه الله عنه، وقالوا له: من عجمتك أوتيت أي ظنت إخلاف الإيعاد أمر مستقبح وليس كذلك كما قال الشاعر:

وأني وإن أوعدته أو واعدته مخلف إيعادي ومنجز موعدي
فهذا مدح.

* وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً.. هذا سند عظيم.

ما فرق هؤلاء: أي ما خوفهم وجزعهم أي ما أوجب لهم هذا الخوف والجزع. ويعجلون رقة: أي أنهم إذا سمعوا الآيات المحكمات من القرآن والستة يجدون

رقة وخشوعاً وإذا سمعوا آيات الصفات اشتبهت عليهم وملكتها بالجزع والإنكار. وهذا يدل على أن هذا الشيء قديم وأنه وجد في زمن الصحابة فيهلكون عند الآيات والأحاديث التي تشبه عليهم بإنكارها والشك فيها والريب. فدل على أن إنكار ما بينه الله لعباده أو الشك فيه هلاك.

والحق الإيمان بما أخبر الله به رسوله فإن فهمته فالحمد لله وإن فكله إلى عالمه وقل: الله أعلم بمراده وسائل أهل العلم وإياك والإنكار والجزع فإنه طريق المنافقين والهالكين. أما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنّة ويرقون له ويعملون به وإذا اشتبهت عليهم الآيات ردوها إلى المحكمات والبيانات وفسروها بما اتضح من حكم الله ولا يضربون كتاب الله وسنة رسوله بعضها ببعض ولا يشكون، ويعلمون أن التشابه لا يخالف المحكم بل هو من جنس المحكم ويكلون ما جهلو إلى العالم بالكيفية وهو الله سبحانه. وأما معانها فمعلومة من طريق اللغة العربية التي خاطب الله بها الناس، ولذا قال مالك حين سئل كيف استوى؟ قال الاستواء معلوم .. والسؤال عنه بدعة. أي عن الكيفية . فبين أن معنى الاستواء معلوم والكيفية مجهولة.

فائدة: من قال أن الجنة والنار تفنيان فهو كافر فقد قال الله ﴿ عطاء غير محدود ﴾ ﴿ وما هم منها بمحرجين ﴾ .

أما القول بفناء النار فقول باطل غلط ، والصواب عدم الفناء وهو ما عليه أهل السنة والجماعة .

فائدة: أجمع المسلمين على أن الأرض ساكنة والشمس تجري .. والذين يقولون بدوران الأرض حول الشمس يسعون إلى القول بأن الشمس ساكنة وهذا كفر ﴿ والشمس تجري لمستقر لها .. ﴾ .

٤١- باب قول الله تعالى

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ الآية [النحل: ٨٣].

قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي، ورثه عن أبيائي».

وقال عون بن عبد الله: لولا فلان لم يكن كذلك.

وقال ابن قتيبة - يقولون - هذا بشفاعة آهتنا.

وقال أبو العباس: «بعد حديث زيد بن خالد» الذي فيه «وأن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث وقد تقدم - وهذا كثير في الكتاب والسنّة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

وقال بعض السلف: هو كقولهم كانت الرّيح طيبة والملاح حاذقًا، ونحو ذلك مما هو جاري على السنّة كثيرة.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثُرُهُمْ كَافِرُونَ﴾.

أراد المؤلف الحث على الاعتراف بنعم الله وشكره سبحانه على ذلك لأن كثيراً من الناس قد يشغل عن هذا فيتمتع بنعم الله ولكن لا يشكره بل ينسبه إلى أسبابه وقوته وأعماله ونحو ذلك ويغفل عن المنعم سبحانه، ولو شاء الله لسلبه الأسباب وسلبه القوة فهو الذي أطعاه السمع والبصر والذكاء والخلق وغير ذلك.

وهذا من خلق الكافرين أن يقول مثلاً هذا مالي ورثه من أبيائي وما أشبه ذلك.

ثم ينكرونها: أي يتمتعون بها ويعرفونها ثم ينسبونها إلى آهتهم وأوثانهم من باب النكران بالنعم.

قال مجاهد: هو قول الرجل ورثه عن أبيائي.

أي يقول ذلك تبجحاً وتعظماً بهذا الشيء من غير أن يعترف بنعم الله ويغفل عن ذلك، وليس المراد أن يقولها بقصد الإخبار لأنه لا بأس أن يخبر بهذا على أنه سبب، بل أن يقول ذلك غافلاً ناسياً المنعم الحقيقى.

وقال عون بن عبد الله: يقولون لولا فلان لم يكن كذلك.
وهذا خطأ أيضًا لأنه ينبغي أن يقول لولا الله ثم كذلك فينسب النعم إلى الله لأنه هو المبدى والمعطى سبحانه وتعالى.

قال ابن قتيبة: يقولون: هذه بشفاعة آلهتنا فينسبونها إلى آلهتهم.
وهذا كذلك من قول الكافرين، والواجب على المسلم أن يخالفهم وينسب النعم إلى الله لأنه هو المسبب تلك الأسباب وعليه أن يقوم بالشكر والعمل بأوامره ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ﴾.

قال أبو العباس: هذا كثير في الكتاب والسنّة يذم سبحانه من يضيف أنعامه...
يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به أي تبجحًا بذلك واعتراضًا وافتخارًا بذلك على غيره.

قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الربيع طيبة والملاح حادثًا.
أي إذا سارت السفينة ووصلت سالمة قالوا هذا، ونسوا المنعم الذي يسر الربيع وعلم الملاح حتى صار حادثًا، والواجب أن ينسبها إلى الله تعالى مع معرفة الأسباب كأن يقول: إن الله يسر لنا ريحًا طيبة فهذا لا بأس به.
وهذا القول من دقة السلف وعنايتهم وحرصهم على شكر الله والاعتراف له سبحانه وتعالى.

٤٢- باب قول الله تعالى

﴿فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢).

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لو لا كُلُّبَةٍ هَذَا لَأَنَا اللَّاصُوصُ، ولو لا بَطْ في الدَّارِ لَأَنَا اللَّاصُوصُ، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لو لا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك» رواه ابن أبي حاتم.

ومن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقًا».

ومن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وما شاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسنده صحيح.

وجاء عن إبراهيم التخumi: أنه يكره أعيون بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال ويقول لو لا الله ثم فلان، ولا تقولوا لو لا الله وفلان.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أراد المؤلف بهذا الباب تحذير الناس من اتخاذ الأنداد، وهو جمع ند، وهو المثل والنظير، وسمى الله من اتخذ ألهًا: أندادًا لأنهم عبدوه مع الله كالقبور والأشجار والكتوافن وغيرها كلها تسمى: أندادًا إذا دعاه أو استغاث به أو طلب منه شيئاً أو اعتقاد نفعه أو ضره.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون أنه الخالق الرزاق وهو الإله الحق سبحانه وتعالى، وقال ذمًا لبعض الناس: «وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَتَحَدَّدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يَجْبُونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ» والمقصود من كل هذا الدعوة إلى الإخلاص لله وحده لأنه المعبود الحق والإله الحق كما قال تعالى «وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ» «وَمَنْ يَدْعُ مِنْ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ

لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ۚ ۝.

قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفة سوداء..

فسر ابن عباس كل ما ذكر بأنه شرك، ومراده أنه داخل في الشرك الأصغر، لأن الشرك الأصغر يدخل في اتخاذ الأنداد. والأعظم من ذلك دعوة الأصنام والاحجار فإنه شرك أكبر.

وهنا التنبية على الشرك الخفي (الشرك الأصغر) لأنه يوصل إلى الشرك الأكبر فذكره ليحذر الناس من هذا وهذا وما قيل للنبي ﷺ: (ما شاء الله وشئت) قال: «أجعلتني الله نذراً؟ قل ما شاء الله وحده» فجعل قوله ما شاء الله وشئت.. اتخاذ الأنداد فوجب الحذر من مثل هذه الكلمات وغيرها. لأن الواو تقتضي المشاركة والمساواة ويلحق بها: لو لا البط في الدار، وكذلك الكلب معهما ينبهان أهل البيت على الغريب وهذا خطأ بل يقول: لو لا الله ثم البط لأن السبب الوحيد هو الله وهذه أسباب فلا ينبغي أن توكل إليها الأمور بل الله وحده.

فلذلك لا تذكر وحدها ولا بالشريك بل مع الله بل تؤخر بـ(ثم).

وكذلك قولهم: لو لا فلان لغرق فلان فهذا خطأ بل يقول: ثم فلان.

وعن عمر مرفوعاً «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك».

الصواب هنا عن ابن عمر.. والشك يحتمل أنه من ابن عمر أو أحد الرواة..

والمعنى واحد لأن الحلف بغير الله تعظيم له وأنه صالح لهذا الحلف، وهذا لا يليق إلا بالله فهذا الذي يعظم لأنه عالم السر وأخفى وعالم ما في القلوب.

وكان العرب تخلف بآبائهن والمعظمين، وكان هذا موجوداً في أول الإسلام ثم نهى النبي ﷺ عنه وحذر منه وقال «ولا تخلفوا بآبائكم ولا أمهاتكم ولا الأنداد» وقال «من كان حالقاً فليحلف بالله أو ليصمت» وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عمر نفسه عن النبي ﷺ «من حلف بشيء دون الله فقد

أشرك » هذه رواية عمر.

وهذا من الشرك الأصغر وقد يكون من الأكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المخلوق به له شأن ويتصرف في الكون ويستحق أن يعبد من دون الله. وإنما فهو من الأصغر، ولهذا ورد أنهم في أول الإسلام يحلفون بآبائهم ثم نهوا عنه إجلالاً للتوحيد وتعظيمًا لجناب الله وسدًا للذرائع الموصولة إلى الشرك.

قال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقًا. لأن الحلف بغير الله شرك والخلف بالله كاذبًا معصية، والشرك أعظم من الكذب و الجنس الشرك أخطر من جنس المعاصي، والكذب لا يجوز ومحرم.

عن حذيفة مرفوعاً: « لا تقولوا ما شاء الله وما شاء فلان ولكن قولوا.. ». لأن الواو تقتضي المساواة والتشريك فلا تجوز بخلاف (ثم) فإنها للتراخي فهي جائزة، والكمال أن يقول لولا الله وحده.

و جاء عن إبراهيم التخعي: أنه يكره أن يقال (أعوذ بالله وبك...). فلا يجوز: أعوذ بفلان، ولا بالله وبفلان، بل يقول: أعوذ بالله، ثم، وهذا من كمال التوحيد، والواجب على المسلم أن يحرص على كمال توحيده وإيمانه وأن يتبع عن الشرك دقيقه وجليله، وأن يتبع عن المعاصي فإنها تنقص التوحيد والإيمان واليقين.

فائدة: حديث (أفلح وأيده) هذا قبل النهي في أول الإسلام.

- لا يجوز أن يقول لولا الله ثم النبي لما اهتدينا.

- حديث (لا يخاف إلا الله والذئب) ليس من هذا الباب بل هو جائز.

- إذا قال: بذمتك أسألك. أو بالأمانة: إن قصد به الحلف لم يجز وإنما وجائز.

يجوز أن يقول أعوذ بالله منك لأن النبي قال «لقد عذت بعظيم» ثم تركها.

- إذا قال رجل لمن أحسن إليه أنت المنفذ العظيم فهذا بحسب نيته، والأفضل

أن يقول: لولا الله ثم أنت المنفذ العظيم، قد توحى بشيء.

٤٣- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمر - أن رسول الله ﷺ قال: (لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بآباه فليرض، ومن لم يرض فليس من الله) رواه ابن ماجه بسنده حسن.

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان وجوب القناع باليمين وإن كان في نفسه شيء من صدق الحالف أو علم كذبه أو تهمته بذلك ومع ذلك فعليه أن يقنع بالحكم الشرعي ويرضى به لأنه ليس للناس إلا ما ظهر وكذلك ليس للقاضي إلا ما ظهر بشهادة العدول أو يعين الخصم عند عدم البيينة.

عن ابن عمر مرفوعاً «لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق ومن . . .». لا تحلفوا بآبائكم: نهى عن الحلف بالأباء والأمهات وغيرهم وكانوا يحلفون بهم في أول الإسلام وفي أول الهجرة إلى المدينة ثم نهى عنه. من حلف بالله فليصدق: أي يجب على من حلف بالله أن يصدق ويتحرى الصدق ويحذر الكذب ولهذا قال النبي ﷺ «من حلف على يمين وهو كاذب لقى الله تعالى وهو غضبان» فيجب الحذر من الحلف بالله كاذباً خاصة في المخصوصات، واقطاع حق المسلم باليمين الكاذبة ولهذا ورد في الآخر للحديث «من اقطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله عليه النار وحرم عليه الجنة» قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً. قال «وإن كان قدر النواة» رواه مسلم فالواجب الحذر من ذلك وأن لا يأخذ حق أخيه المسلم إلا ببينة شرعية ووجه شرعى، وإذا طلب اليمين فليحذر الكذب. من حلف بالله فليرض: هذا هو الشاهد أي ليرض وليقنع وليس له إلا هذا، لأنه هو الذي فرط ولم يشهد ولن يكتب ولم يجعل بينة فعليه أن يلوم نفسه، وليس له إلا الحكم الشرعي باليمين لتفريطه وسوف يعطيه الله حقه يوم القيمة: ومن لم يرض فليس من الله: وعید شدید على من لم يرض بحكم الله ولم يطمئن إليه.

فائدة: كفارة من حلف كاذباً أن يتوب ويرد الحق لاصحابه.

٤٤ - باب قول (ما شاء الله وشئت)

عن قتيلة - (أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال إنكم تشركون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: (ما شاء الله ثم شئت). رواه النسائي وصححه. وله أيضاً عن ابن عباس «أن رجلاً قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت. فقال: أجعلتني الله نداً؟ بل ما شاء الله وحده».

ولابن ماجه عن الطفيلي أخى عائشة لأمها قال: (رأيت كأني أتيتُ على نفر من اليهود - قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزيزُ ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون - ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم. قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعدُ فإن طفيلاً رأى رقباً أخبر بها من أخبر منكم. وأنكم قلتم كلمة يعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد. ولكن قولوا ما شاء الله وحده).

أراد المؤلف بيان حكم قول (ما شاء الله وشاء فلان) وما أشبه ذلك وأنه يجب أن يقول: ثم فلان وهذا هو مقتضى التوحيد والإخلاص، وفيه كمال التوحيد والبعد عن الشرك دقيقه وجليله. فحكم هذا أنه لا يجوز قول المؤلف باب كذا.. أي حكم كذا.

فالاكميل ما شاء الله وحده. وما شاء الله ثم شاء فلان وهذا جائز. وما شاء الله وشاء فلان لا يجوز وهو من الشرك الأصغر ومنقص للتوحيد وهكذا أمثاله. عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال أنكم تشركون، تقولون... فيه أن الناس من أهل الباطل قد يفهمون أشياء ومسائل إذا كان عندهم هو

وأن كانوا هم واقعون في ذنب وفسق وكفر أعظم من ذلك: ولهذا عاب اليهود على المسلمين - لما في قلوبهم من الغيظ والحقد على الرسول ﷺ - وقد أصابوا في قولهم، ولهذا أمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: ما شاء الله وشئت، وأن يقولوا: ورب الكعبة.

وله أيضًا عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت..

أجعلتني الله ندًا: وفي لفظ أجعلتني الله عدلاً.

لابن ماجه عن الطفيلي أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت..

أنكم لاتتم القوم لولا: أي أنكم تستحقون المدح لولا قولكم كذا.

قوله « وكان يعنني كذا وكذا » في رواية وكان يعنني الحياة أن أنهاكم عنها.

أي لأنه لم يأت فيها من الله نهى فلما جاءت الرؤيا كانت سببًا للمنع ونزل الوحي بمنعها وأن يقولوا ما شاء الله وحده.

وقد ورد فيما أخرجه الشیخان في قصة الأعمى والأبرص والأقرع قوله فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك وهذا هو الواجب.

وهذا القول ما شاء الله وفلان من الشرك الأصغر وقد يكون من الأكبر إذا

أراد أن له أشياء مستقلة يتصرف فيها.

* * *

٤٤ - باب من سب الدهر فقد آذى الله
وقول الله تعالى: «وَقَالُوا: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا
الَّدَّهَرُ» [الجاثية: ٢٤].

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى يُؤذيني ابن آدم.
يُسْبُ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).
وفي رواية (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر).

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان أن سب الدهر وغيره من المعاصي من جملة الأشياء التي تناقض التوحيد وتضعفه، وتنافي كماله فالواجب الحذر من الأسباب التي تضعف الإيمان من المعاصي سب الدهر وسب الرياح وسب مala يستحق السب وما يغضبه الله.

لأن الدهر مخلوق مدبر ليس في يده تصرف، فهو مدبر من الله تعالى وهو الليل والنهار فسبه إيناء الله، والله لا يضره شيء ولكن المعاصي تؤذى الله لأنها تغضبه كما قال تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

وسب الدهر هو سب الزمان وهو الليل والنهار كان يقول قاتل الله هذه الساعة ولعن الله هذه الساعة وهذا اليوم ولا يبارك الله في هذا اليوم وما أشبه ذلك فسب الدهر هو شتمه أو لعنه أو الدعاء عليه، أما وصفه بالشدة فليس من السب كان يقول هذا يوم شديد وعسر ونحس أو بارد أو حار.

وفي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً «قال الله تعالى يُؤذيني ابن آدم يسب الدهر..
فبين هنا معنى الدهر وأنه الليل والنهار وهو الذي يقلبه فسبه سب للذى خلقه
وقلبه فلا يجوز ذلك، وقد غلط من قال أن الدهر من أسماء الله (كابن حزم)
والمقصود أنه خالق الدهر ومكون الكائنات في الدهر.

ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الرياح» وهكذا سب الإبل والغنم والبقر وسب كل من لا يستحق السب فسب هذه نقص في إيمانه وتوحيدله.

٤٦ - باب التسمى بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن أخْنَعَ اسْمَعْ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تُسَمَّى مِنْ مَلِكِ الْأَمْلَاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ». قال سفيان: مثل شاهان شاه.

وفي رواية: «أَغْيِظَ رَجُلٌ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثَهُ» قوله: (أَخْنَعَ) يعني: أ وضع.

أراد المؤلف بهذه الترجمة بيان النهي عن الأسماء التي يكون لها تعلق بمشابهتها أسماء الله تعالى لأنَّه سبحانه له أسماء يختص بها ليس لأحد أن يتسمى بها مثل الرحمن ومالك الملك والخلق ورب العالمين وحاكم الحكام وسلطان السلاطين ونحوها. لأنَّ من كمال التوحيد وتمام التوحيد عدم التسمى بهذه الأسماء والتسمى بها ينقص التوحيد والإيمان، ودخول فيما لا ينبغي.

وكذلك قاضي القضاة وهذا يقع في بعض الدول وإن كانوا يريدون به قاضي قضاة البلد لكن إطلاقه غير مناسب ولا ينبغي.

أما إذا قيد: قاضي قضاة مصر أو مكة وغير ذلك فهذا أسهل، وتركه أولى لأنَّ يسمى: رئيس القضاة أو أمين القضاة مما يبتعد به عن هذه الصفات المطلقة.

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إن أخْنَعَ اسْمَعْ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ.. أَخْنَعٌ: أ وضع وأذل وأرداً اسم.

فأنكر النبي ﷺ هذا الاسم لأنَّه يوهم وصفاً لا يليق به، ولا يليق إلا بالله تعالى فليس الإنسان ملك الأموال بل هو ليس أهلاً له، وعليه أن يتسمى بالأسماء الأخرى التي تليق به.

شَاهٌ شَاهٌ: اسم عند العجم معناه ملك الملوك.

٤٧ - باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكتنأ أبا الحكم. فقال له النبي ﷺ: إن الله هو الحكم وإليه الحكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتونني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا، فمَا ذلك من الولد؟ قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: فمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قلت: شريح، قال: فأنتم أبو شريح. رواه أبو داود وغيره.

أراد المؤلف بيان وجوب احترام أسماء الله والحذر من امتهانها أو احتقارها أو تسمية غير الله بها من الأسماء التي اختص الله بها ولهذا شرع تغيير الاسم لأجل احترامها وتعظيمها.

والأسماء قسمان:

١- أسماء لا يسمى بها سوى الله سبحانه: كالرحمن والخالق ورب العالمين وغيره.

٢- أسماء يسمى به غيره سبحانه فيكون الله ما يليق به وللعبد ما يليق به والمراد بها هنا الأول.

عن أبي شريح أنه كان يكتنأ أبا الحكم فقال له النبي إن الله هو الحكم. قوله ما أحسن هذا: أي ما أحسن هذا العمل الذي هو الإصلاح بينهم والتوسط ليرضوا وتزول الخصومات وهذا شيء مطلوب وخير.

فوائد الحديث:

ينبغي احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك ولهذا غير اسمه من أبي الحكم إلى شريح، وفيه أن الأفضل أن يكتنأ الإنسان بأكبر أولاده. وفيه شرعة الإصلاح بين الناس وأنه شيء مطلوب وأنه ينبغي لكرباء الناس أن يتتوسطوا بين قومهم في حل الخصومات حتى لا تبقى الشحناء والعداوة. والإصلاح بينهم أفضل من الحكم لأن الحكم يحصل به حزارات، لكن إذا اصطلحوا عن طيب نفس كان أفضل لزوال ما في النفوس وتحل المحبة والودة.

قوله رواه أبو داود: ظاهر كلام المؤلف أنه يرى أن الحديث صالح للحجارة ولهذا اعتمد واكتفى به. واستدل به أنه لا يسمى بالحكم وأبى الحكم، لأن هذا وصف الله تعالى وهو الحاكم بين عباده وله الحكم في الدنيا بشرعه، وفي الآخرة يحكم بنفسه.

ولكن يرد على هذا ما جاء في الأحاديث الصحيحة الكثيرة من أسماء كالحكم والحكيم ولم يغيرها النبي ﷺ وهي أصح من هذه الرواية. وهذا مما يدل على أن الحديث في صحته نظر لأن النبي ﷺ قد أقر بعض الأسماء كحكيم بن حزام والحكم بن عمرو الغفاري وأسماء أخرى ولم يغيرها، ولو كانت منكرة لغيرها. ولأن الحكم يكون بالشرع بين الناس ولا يضره أن يتسمى بذلك، وأن يسمى القاضي والحاكم وما أشبه ذلك.



٤٨ - باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ فهو كافر
وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية [نضل: ٥٠].
ومن ابن عمر و Mohammad bin Kعب و Zayd bin Aslam و Qatada، دخل حديث بعضهم
في بعض: أنه قال رجُلٌ في غزوة تبوك (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء)، أرغب بطونا ولا
أكذب ألسنا. ولا أجبن عند اللقاء - يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - فقال له
عوف ابن مالك: كذبت. ولكنك منافق لأنك أخبرت رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى
رسول الله ﷺ. ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته. فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث
الرubb، نقطع به عنّا الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظرُ إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة
تنكبُ رجليه، وهو يقول: (إنما كنا نخوض ونلعب) فيقول له رسول الله ﷺ: (أبا الله
وآياته ورسوله كتتم تستهزئون)؟ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

هذا الباب لبيان حكم المستهزئين بالله وبالقرآن وبالرسول ﷺ وأن حكمهم أنهم
مرتدون إذا كانوا مسلمين وإن الاستهزاء ردة وكفر. فجواب الشرط فقد كفر وهو معلوم
لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قَلْ أَبَا اللهِ وَآيَاتِهِ..﴾.
عن ابن عمر و Mohammad bin Kعب و Zayd bin Aslam و Qatada، دخل حديث بعضهم
في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك « ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء.. ».
أرغب بطونا: أي أكثر أكلًا.

أجبن عند اللقاء: أي ليسوا بشجعان.

قال عوف بن مالك: كذبت: هذا فيه إنكار المنكر من سمعه وأن عليه منعه لا
سيما في مثل هذا المنكر العظيم الذي فيه سب لله ورسوله ودينه.
فوجد القرآن سبقه: أي نزلت فيهم وهي قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ..﴾ فهذا
يبيّن أن المستهزئ بالقرآن أو السنة أو الرسول ﷺ فهو كافر، ولو زعم أنه يقضي

بها الوقت أو يتحدث حديث الركب ويقطع الطريق أو أنه غير معتمد لذلك فهو كافر، لأن التلاعب بهذا لا يجوز لا في الطريق ولا في غيره، ولأنه يدل على تفاق في قلبه وخياله وحقد على أهله، والمسلم لا يستطيع أن يقول مثل هذا الذي قاله الرجل وخاصة قوله:

أكذب السنّا: فهذا تكذيب للرسول ﷺ وأصحابه. وفيه رمى لهم بالجبن وأنهم حريصون على الأكل وهذا يدل على الحرص على الدنيا.

فجاء الرجل يعتذر فلم يكن النبي ﷺ يبالي بما يقول ولا يرد عليه إلا بقوله «أبا الله وأياته رسوله». أي أنه لم يقبل عذرها وبين له أنه كافر بهذا العمل.

فهذا يبين أن المستهزيء بالشرع كافر بعد الإيمان إذا تناقض الرسول أو قال أنه جبان أو كذاب أو لم يبلغ الرسالة وما أشبه ذلك مما يدل على التناقض، وهكذا من قال أن القرآن متناقض أو أنه لم يستوف ما يحتاجه الناس أو الشريعة لم تستوف ما يحتاجه الناس وما أشبه ذلك مما هو على سبيل الذم والنقص.

أما إذا قال أن القرآن قد جاءت السنة ببيان أشياء ليست فيه فهذا حق لكن إن قاله قاصدًا الذم وأن الناس بحاجة إلى القوانين وأن النصوص لا تكفي فهذا كفر أكبر وردة، وكذا من قال أن الجنة خيال ليست حقيقة.

* * *

٤٩ - باب ما جاء في قول الله تعالى

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْنَا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسْتَهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي﴾ الآية [فصلت: ٥٠].

قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به.

وقال ابن عباس يريده: من عندي.

وقوله ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

قال قتادة: علمٌ مني بوجوه المكاسب.

وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل.

وهذا معنى قول مجاهد: أُوتِيَهُ على شرف.

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فلما رأى الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، وينذهب عني الذي قد قدمني الناس به قال فمسحه، فذهب عنه قدره، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطي ناقة عشراء، فقال بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، وينذهب عني الذي قدمني الناس به، فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً، فقال أي المال أحب إليك؟ قال البقر أو الإبل، فأعطي بقرة حاملاً، قال: بارك الله لك فيها. قال: وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يردد الله إلي بصرى فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال الغنم، فأعطي شاة والداؤ فاتَّجَ هذان وولد هذان. فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

قال: ثم أتى الأبرص في صورته وهيته فقال: رجل مسكون وابن سبيل قد انقطعت بي الحاجة في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسلأك بالذي أطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغير أبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة فقال له: كأني أعرفك؟ ألم تكن أبرص يدرك الناس، فقيراً فأطاك الله عز

وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: ثم إنه أتني الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتني الأعمى في صورته فقال: رجل مسكون وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا باشر ثم بك، أسألك بالذري رد عليك بصرك شاء أتبليغ بها في سفري. فقال قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرني. فخذ ما شئت، ودع ما شئت. فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليت فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» آخر جاه.

﴿ولئن أذقناه رحمة من بعد ضراء مسنه ليقولن هذا لي﴾.

هذا الباب عقده المؤلف لبيان ما غالب على التفوس من إنكارها النعم ومحادتها وكفرانها وعدم الاعتراف بها لمعطيها سبحانه وتعالى.

وفي الآية: أن هذا القول طبيعة من طبيعة بني آدم إلا من عصمه الله، من إنكارهم النعم ونسبتها لنفسه وعدم الاعتراف بها خالقها عز وجل فمن شأنه الكفر بالنعم وأن يقول هذا عملي ومن أسبابي وغير ذلك.

والمقصود من هذا الحديث على شكر النعم وإسنادها لله وإن كان له أسباب لكن كله بفضل الله، هو الذي أبنت له النبات ويسر له التجارة والربح. ولا مانع أن يسنه إلى سبب من الأسباب لكن يبين أولاً أنها من الله ويشكر ثم لا مانع من ذكر الأسباب لكن أن نسبها إلى أسبابه ونسى المنعم فهذا منكر.

عن أبي هريرة مرفوعاً «إن ثلاثة من بنى إسرائيل: أبى ص وأقرع وأعمى ..»
هذا الحديث فيه فوائد عظيمة قصها النبي ﷺ للحظة ولثلا نفع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من الأخطاء.

فهؤلاء الثلاثة ابتلواهم الله بالضراء أولاً ثم بالسراء فكفر اثنان بنعمة الله وشكر واحد وهذا شاهد لقوله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عَبْدٍ يَشْكُرُ﴾ وفيه الحديث على

شكراً للنعم والاعتراف بها لله .

والادب في السؤال حيث قال لا بلاغ إلا بالله ثم بك .

وفيه بيان قدرة الله وأنه يقول للشيء كن فيكون .

وعلى المؤمن أن يكون على حذر من عقوبة الله ومداومة الشكر له سبحانه .

* * *

٥٠- باب قول الله تعالى

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ الآية [الاعراف: ١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمر، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية، قال: «لما تغشاها آدم حملت فأناهم إيليس فقال: إنني صاحبكم الذي أخرجكم من الجنة لطبيعتي أو لا جعلن له قرنى أيل فيخرج من بطنه فيشقه، ولا فعلن ولا فعلن، يُخوّفهم، سميّاه عبد الحارث، فأبياً أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثم حملت فأناهم مثل قوله فأبياً أن يطيعاه فخرج ميتاً. ثم حملت فأناهم فذكر لهما، فأدراكهما حبُّ الولد، فسمّاه عبد الحارث فذلك قوله: «جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا»». رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: «لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا» [الاعرف: ١٨٩] قال: أشفقاً أن لا يكون إنساناً.

وذُكِرَ معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ .. الآية.

أراد المؤلف بيان تحريم التعبيد لغير الله، وأنه لا يجوز أن يعبد أحد لغير الله فلا يقال: عبد النبي أو الكعبة أو عبد الحسين وما أشبه ذلك بل يكون التعبيد لله وحده كعبد الرحمن وعبد الله .. إلخ لأن الله ذم من فعل ذلك بقوله تعالى «فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا» .. وهذا ذم وعيب لمن فعله.

وهذا السياق في ذكر آدم وحواء حيث أطاعا الشيطان في تسميته عبد الحارث. وقال آخرون: إن المراد بالآية: جنس منبني إسرائيل وأن هذا وقع فيبني إسرائيل. ولكن ظاهر السياق يأبى هذا بل هو كما قال ابن عباس، وغيره من

السلف وإن المعصية قد وقعت منهمما والمعصية قد تقع من الأنبياء إذا كانت صغيرة كما قال العلماء.

ويحتمل أنهم حين فعلا ذلك كانوا يعتقدان ذلك جائزأ فلهذا فعلاه ولم يعلما أنه منكر وأنما كرهاه أولاً ثم خضعا لوسوسته وما أراد.

ويبين الله فيما أنزله على رسوله ﷺ أنه لا يجوز. وهذا الحكم يناط بشرعية محمد ﷺ فهي الشريعة العامة، وما كان قبلنا ففيه إباحة لبعض المسائل ومنع بعضها.

حاشا عبد المطلب: فمسنتني من النهي لأن الرسول ﷺ أقر ذلك ولم يغيره. ومن الصحابة: عبد المطلب بن ربيعة لأن الأصل فيه أنه تعبد بالعتق والرق وسموه عبد المطلب - واسمه شيبة بن هاشم - لأنهم ظنوه عبداً للمطلب بسبب تغير وجهه من السفر والمطلب عمه. فأقر هذا الإسم في الإسلام بخلاف غيره من الأسماء.

شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته: لأنهم أطاعوه في هذا الاسم عن غير علم، وكل هذا من باب كمال التوحيد وكمال الخضوع لله وسد وسائل الشرك.

مسألة: قول الرسول ﷺ « أنا ابن عبد المطلب » هذا إخبار عن اسم ماضي فلا يضر لأنه مشتهر به مثل عبد مناف وعبد عمرو إذا كانت من باب الإخبار.



٥١- باب قول الله تعالى

﴿وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الآية [الاعراف: ١٨٠]. ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس (يلحدون في أسمائه) يشركون. عنه: سموا اللات من الإله. والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا.

﴿وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ .. الآية. بين الله تعالى أن له سبحانه الأسماء الحسنة التي لا يعتريها نقص بل هي كمال كلها تدل على معانٍ عظيمة يوصف بها على الوجه اللائق به فيدعى بها فيقال: يا رحمن .. يا عزيز، يا غفور اغفر لنا .. وهكذا. والإلحاد في أسمائه: الميل عن الحق والاشراك فيها مع الله كمن جعل لغير الله شيئاً من العبادة فقد أشرك فيها مع الله غيره وجعلها إليها، وصار كافراً بذلك. وهكذا من الخد فيها بأن أمالها عن الحق وزعم أنه لا معنى لها كالجهمية والمعترضة الذين نفوا الصفات أو الأسماء والصفات جميعاً فقد أخدوا أي مالوا عن الحق. ومنه اللحد في القبر أي جعله ماثل من جانب.

والإلحاد قسمان:

- ١- إلحاد أكبر: وهو ما يقع من الكفارة.
- ٢- إلحاد ناقص: وهو ما يقع من بعض المسلمين في عدم انتقادهم للحق على التمام والكمال فيكون لهم نوع إلحاد وميل عن الحق فينونهم من الإيمان والإسلام بقدر ذلك.

قال الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها: هذا نوع من الإلحاد أن يسمى الله بأسماء ما أنزل بها من سلطان فهي نوع من الإلحاد أي نوع من الباطل.

وكذلك قول بعضهم في اللات من الإله، والعزى من العزيز، فهذا نوع إلحاد وكذلك الواقع في المعاصي نوع من الإلحاد لكنه أصغر.

ومن جحد الله أو أشرك معه فهو إلحاد أكبر.

٥٢- باب لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ. قلنا: السلام على الله من عباده. السلام على فلان وفلان. فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا: السلام على الله فإن الله هو السلام».

قوله «لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام»

السلام له معنian :

- ١- أي هو السالم من كل نقص وعيوب فله الكمال المطلق من جميع الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.
- ٢- المسلم لعباده أي الذي يعطي السلام، فلا يقال السلام على الله: لأن هذا دعاء والله غني عن أحد، وليس بحاجة إلى دعاء الناس، وإنما المشروع هو تعظيمه وتقديسه والإيمان بأنه موصوف بصفات الكمال وأنه المحسن والضار. ويقال للمخلوق: السلام عليه لأن محتاج إلى الغافية والدعاء.

مسألة: لو قال: (لولا الرسول ما اهتدينا) وأراد دعوة الرسول لا بأس، والأفضل أن يقول: لولا الله ثم دعوة الرسول.



٥٣- باب قول اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم - اللهم اغفر لي إن شئت. اللهم ارحمني إن شئت. ليعلم المسألة، فإن الله لا مكره له». ولمسلم «وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاء».

أراد المؤلف بهذا أن يبين أنه من كمال الإيمان وكمال التوحيد: العزم على المسألة وعدم التردد وأن المؤمن إذا دعا ربه فليعزم ولا يتردد فإن جود الله عظيم وهو الغني الحميد فلا يليق بالمؤمن أن يستئن في سؤاله، وإنما يستئن في سؤال المخلوق لأنه قد يعجز أو يمتنع، أما الرب فهو الغني القادر.

في الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني » ..

فلا يليق بالعبد أن يسأله بالاستئناء لأن كأنه يكون غير مضطط ولا يحتاج إلى هذا السؤال. والواجب العزم فإن الله لا مكره له وليس بعاجز.

ولمسلم «وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاء».

بل هو الله تعالى العظيم الشأن الغني الحميد وكل شيء يعطيه عباده فهـى عنده قليلة يسيرة وإن أعطاهم شيئاً عظيماً سبحانه وتعالى.

فعلى المؤمن أن يكون شديد الرغبة فيما عند الله، شديد التعلق بالله، شديد اللجوء إليه والإنسكار، وأن يسأله سؤال الراغب المضطط ولا يستئن، وكذلك إذا دعا لأخوانه لا يقول: غفر الله لك إن شاء أو رحمك إن شاء الله. بل يجزم ولا يقول إن شاء الله ولو تبركاً فلا يستئن أبداً.

ولا يقول: اللهم اغفر لي ما شئت.

فائدة:

* الدبلة ليس لها أصل وهي من أعمال النصارى.

* الأحاديث الواردة في سورة الكهف كلها ضعيفة ولكن يشد بعضها بعضاً

وقد صح موقوفاً وهذا مما يقوي المرفوع .
* لا يجوز أن يقول: يا رسول الله لو رأيت حال الأمة لاشفقت عليها
ولدعوت لها .. إلخ.
لأنه عَزَّوَجَلَّ لا يسمع ولا يرى ما نقول له كما في الحديث «إنك لا تدرى ما
أحدثوا بعدهك» .

* * *

٤- باب لا يقول : عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُقُلُ أحدكم أطعم ربِّكَ، وَضَّيِّعَ رَبِّكَ. وَلَيَقُلُّ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ. وَلَا يَقُلُّ أحدُكُمْ: عَبْدِي وَأُمْتِي. وَلَيَقُلُّ: فَتَايِ وَفَتَانِي وَغَلَامِي».

هذا الباب مما ينافي كمال التوحيد. أي عندما يخاطب الرجل غلامه أو جارته فلا يقول : عبدي وأمتي تأدبا مع الله تعالى ، بل يقول : فتاي وفتانى وغلامى وخدامي ونحو ذلك لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله . فهذا من باب الكمال والتأدب مع الله عز وجل والاعتراف له سبحانه بأنه المالك لكل شيء والمتصف في كل شيء .

أما إذا قيل : عبد فلان أو إماء فلان فهذا من باب الإخبار وهو أسهل وليس من باب الإضافة إلى النفس .

لا يقل أحدكم أطعم ربك : هذا من باب التأدب أيضا لأن رب الجميع هو الله والله تعالى لا يطعم فهو الغني فلا يقال ذلك بإطلاق .

بل يقول سيدى ومولاى وعى : لأن هذه عبارات معروفة لا تشتبه بالربوبية والسيد هو المالك والرئيس هو مالك لهذا الغلام .

وهكذا المولى له معان كثيرة فهو المالك والقريب والناصر .

وفي رواية لا يقل : مولاي فإن مولاكم الله : ولكن المحفوظ عند العلماء رواية الإذن بهذا لأن كلمة المولى مشتركة وقد قال تعالى ﴿ وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا مُولَى لَهُمْ ﴾ أي لا ناصر لهم بل هم مخذولون بالنسبة للناصر ل الدين الله . فلا حرج إن يقول : مولاي وسيدي واصطلخ الناس الآن بكلمة عمي أي لمن ملك وغير ذلك مما اصطلحوا عليه بدلاً من (الرب) .

٥٥- باب لا يرد من سأل الله

عن ابن عمر رضي الله عنهمما قال: قال رسول الله ﷺ: من سأل بالله فأعطيوه، ومن استعاذه بالله فأعيذه، ومن دعاكم فأجبيوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكاففوه، فإن لم تجدوا ما تكاففوه فادعوا الله حتى تروا أنكم كاففوه. رواه أبو داود والنسائي بسنده صحيح.

ذكر المؤلف هذا الباب لما فيه من تعظيم الله وإجلاله في إعطاء من سأله وحديث ابن عمر من جوامع الكلم التي أورتها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

* عن ابن عمر مرفوعاً « من استعاذه بالله فأعيذه ومن سأله فأعطيوه ». من سأله فأعطيوه: تعظيمًا لله وإجلالًا له وقد جاءت عدة أحاديث تدل على كراهة السؤال بالله لما فيه من التشديد على الناس ولكن من سأله حقاً كالزكاة أو من بيت المال وجب أن يعطى، أما غير ذلك فالأفضل أن يعطى ولا ينبغي أن يسأل بالله عملاً بالأحاديث الدالة على كراهة ذلك.

ومن استعاذه بالله فأعيذه: فمن استعاذه بالله شرع أن يعاذه ولهذا لما استعاذه عمرة بنت الجون من الرسول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال لها « لقد عذت بمعاذ » أي تعظيم « فالحق في بأهلك » فمن استعاذه بالله شرع أن يعاذه، إذا لم يكن حقاً عليه، فإن استعاذه بالله في إسقاط حق عليه فلا يعاذه لأن الله أمر بأداء الحقوق كما إذا قال: أعوذ بالله من أن تلزموني بالصلة أو الزكاة أو الدين أو الكفارات ونحو ذلك. فإن استعاذه من تولية القضاء مع وجود من يقوم مقامه أو الإمارة ونحو ذلك مما فيها خطر؛ شرع أعاذه كما يروي عن ابن عمر لما أمره عثمان بالقضاء استعاذه بالله أن يولي القضاء فأعاذه عثمان وهذا - إن صح - فهو محمول على أن هناك من يقوم مقامه وكان الصالحون في عهد عثمان لذلك كثيرون.

ومن دعاكم فأجبيوه: لما في إجابة الدعوة من المصالح والتوصل والتآلف والتقارب فلهذا شرعت الإجابة سواء كانت لعرس أو غيره وأهمها العرس وفي

الحاديـث «من لم يجـب الدعـوة فقد عـصـى الله ورسـولـه» مـسلم .
فالواجب أن تجـاب إلا :

١- أن يكون له ما يـمنعـه كـأنـ يـكونـ مـريـضاـ أوـ بـعـيـداـ أوـ يـشـقـ عـلـيـهـ الإـيـشـانـ
وـنـحـوـهـ .

٢- إنـ كانـ فـيـهـ مـانـعـ: بـأنـ يـكـوـنـ فـيـهـ مـنـكـرـ كـالـلـاهـيـ وـالـأـغـانـيـ وـالـخـمـرـ فـإـنـ
كـانـتـ الدـعـوـةـ سـلـيـمـةـ وـجـبـ أـنـ يـجـبـ أـوـ تـأـكـدـ . عـلـىـ الـأـقـلـ لـهـذـاـ الـحـدـيـثـ وـغـيـرـهـ .
- ولا تجـبـ الدـعـوـةـ إـلـاـ إـذـاـ خـصـهـ بـهـ .

وـمـنـ صـنـعـ مـعـكـمـ مـعـرـوـفـاـ فـكـافـيـهـ: هـذـاـ مـنـ مـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ وـكـمـالـ الإـيمـانـ أـنـ
يـكـافـأـ عـلـىـ الـمـعـرـوـفـ بـمـاـ يـسـتـطـيـعـ إـنـ كـانـ مـالـاـ فـبـالـمـالـ وـإـنـ لـمـ يـكـنـ فـبـالـكـلـامـ الـطـيـبـ
وـالـدـعـاءـ .

حتـىـ تـرـوـاـ : يـرـوـىـ بـفـتـحـ التـاءـ أـيـ حـتـىـ تـعـلـمـواـ وـيـرـوـىـ بـضـمـ التـاءـ أـيـ حـتـىـ تـظـنـواـ
أـنـكـمـ كـافـيـتـهـوـ . وـالـمـعـرـوـفـ يـتـنـوـعـ .

لـاـ يـنـبـغـيـ دـعـاءـ صـفـاتـ اللهـ فـلـاـ يـقـالـ: يـاـ وـجـهـ اللهـ أـوـ يـاـ عـلـمـ اللهـ اـفـعـلـ كـذـاـ . وـإـنـاـ
يـدـعـيـ اللهـ بـأـسـمـائـهـ وـصـفـاتـهـ فـيـقـالـ يـاـ رـحـمـنـ . . . فـالـصـفـاتـ يـتـوـسـلـ بـهـاـ وـلـاـ تـدـعـيـ، وـقـدـ
نـقـلـ شـيـخـ الـإـسـلـامـ الـإـجـمـاعـ عـلـىـ هـذـاـ .
وـيـتـوـسـلـ بـهـاـ فـيـقـولـ: أـسـأـلـكـ بـعـفـوـكـ وـرـحـمـتـكـ وـأـعـوذـ بـرـضـاـكـ مـنـ سـخـطـكـ . . . إـلـخـ .

٥٦- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُسأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ) رواه أبو داود.

هذا فيه: أنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

* عن جابر مرفوعاً « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » رواه أبو داود.

وذلك لأن الجنة هي أعلى المطالب وفيه النظر إلى وجه الله سبحانه وفيها النعيم المقيم ووجه الله له شرف العظيم فلا يسأل به إلا الجنة. وكذلك ما يقرب إليها كان يسأل الإخلاص والتوفيق للخير والاستقامة على الطاعة، فما يقرب إلى الجنة هو من طلب الجنة.

وهذا من كمال التوحيد والإيمان أن لا يسأل بوجه الله إلا الجنة أو ما يقرب إليها كالعمل الصالح والاستقامة والعافية من مضلات الفتنة. وإسناد الحديث فيه لين وضعف لكنه ينجر بما جاء في الروايات الأخرى من النهي عن السؤال بوجه الله، فيكون هذا خاصاً بالسؤال بوجه الله الكريم أو ما يقرب إليها وما يدعو إليها.



٥٧- باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : «يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتْلَنَا هَاهُنَا» [آل عمران: ١٥٤]. قوله : «الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْرَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتْلُوا» الآية [آل عمران: ١٦٨].

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

أي في حكم هذه الكلمة وهل تجوز أو لا تجوز، والمقصود أنه لا ينبغي استعمالها لمعارضة القدر، بل يجب التسليم والصبر وعدم المعارضه للقدر بكلمة لو، عند موت قريب أو مرض أو مصيبة.

وقوله تعالى «يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتْلَنَا هَاهُنَا» .
هذا ذم لهم وعيب .

«الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْرَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتْلُوا» .

فدل هذا على أنه لا يجوز استعمالها عند معارضه القدر في مرض أو هزيمة أو نحو ذلك وإن هذا من شأن المنافقين لأن قدر الله ماض و شأنه نافذ وإنما شرع الأسباب لحكمة بالغة . فعلى المسلم أن يتبعطى الأسباب فإذا نزل القضاء فليس له أن يعترض بعد ذلك .

* وفي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أححرص على ما ينفعك واستعن بالله . . . فإذا أصابك شيء فقل (قدر) الله وما شاء فعل، وبعضهم ضبطها بـ (قدر) الله وما شاء فعل أي قدر هذا الشيء الواقع، والمعنى الأول أظهر أي أن هذا الواقع هو قدر الله أي مقدور الله وما شاء الله فعل . . .
لو تفتح عمل الشيطان: أي تفتح على العبد عمل الشيطان أي وساوسه

وتشكيكه فينبغي للمؤمن أن يتتجنبها حتى لا يقع في حبائل الشيطان وإملائه مالاً ينبغي لأن هذه أمور الله هو الذي قدرها. ولهذا قال تعالى ﴿ وَبِشَرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ و قال عليه الصلاة والسلام « ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا آجره الله في مصيبي وأخلفه خيراً منها » فمثلاً إذا عالج مريض عند طبيب ثم مات لا يقولوا لو ذهبت به إلى طبيب آخر أو الخارج .. إنما بل يقول قدر الله وما شاء فعل، إنا لله وإنا إليه راجعون ولا يعرض بـ(لو).

أما إذا كانت (لو) لبيان ما ينبغي قوله ﴿ لَوْ أَسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا أَسْتَدِيرْتُ .. ﴾ فهذا ليس اعترافاً بل هو لبيان الأفضل، كقولك لو علمت أن هذا واقع لفعلت كذا وكذا مما يبين للناس أنه الأفضل وكقول: لو علمت فلاناً مريضاً لزرته.

وما أشبه ذلك مما يخبر به عن أسفه على ما فات وليس على سبيل الاعتراض فهذا ليس داخلاً في الباب وإنما الممنوع الاعتراض على القدر ..



٥٨- باب النهي عن سب الريح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: «اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به. وننعواذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به» صصحه الترمذى.

لما كان سب الريح وغيرها من المخلوقات نقصاً في الإيمان وقدحاً في التوحيد نبه المؤلف على ذلك ليعلم المؤمن أن سائر المعاصي تنقص التوحيد وتنقص الإيمان وتضعفه، والإيمان يزيد وينقص، والتوحيد يزيد وينقص، وسب الريح ينقص الإيمان، لأن الريح مخلوق مدبر يرسل بالخير والشر فلا يسب الريح، بل يعمل المؤمن بما أمره به الرسول ﷺ في الحديث:

* عن أبي بن كعب مرفوعاً « لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به وننعواذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به».

وجاء في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأنعواذ بك».

وجاء في هذا أيضاً الدعاء: « اللهم لا تجعلها ريحًا، واجعلها رياحًا، واجعلها رحمة، ولا تجعلها عذابًا» فهذا هو المشروع للمؤمن عند هبوب الريح وأن يجعلها رياحًا لا ريحًا لأن الله أرسل الريح لهلاك قوم هود، أما الرياح فقد جعلها الله مبشرات ورحمة « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات » وهذا هو كمال التوحيد والإيمان أن يمثل أمر النبي ﷺ في ذلك، وأن لا يسب الريح ولا يسب غيرها من المخلوقات التي لم يشرع الله سبها.

٥٩- باب قول الله تعالى
﴿يَظْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَ الْجَاهِلِيَّةِ * يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟ قُلْ:
إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤].
وقوله: ﴿الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ الآية [الفتح: ٦].
قال ابن القيم في الآية الأولى:
فُسْرَّ هذا بأنه سبحانه لا ينصر رسوله. وأن أمره سيفضي محله.
وفُسْرَ بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته.
وفُسْرَ بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله عليه السلام، وأن يُظهره
على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء، الذي ظنه المنافقون والمرشكون في سورة الفتح.
 وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته
وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يُدْبِلُ الباطلَ على الحقِ إِدَالَةً مُسْتَقْرَةً يَضْمَنَ حِلًّا معها الحقُّ،
أو أنكَرَ أن يكون ما جرى بقضائه وقدره،
أو أنكَرَ أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعمَ أن ذلك
لمشيئة مجردة فذلك ظنُ الذين كفروا.
فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا
يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وأسماءه، وصفاته، ووجب حكمته وحمده.
فليعن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفِرَه من ظنه بربه ظن
السوء.

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له.
وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت
سالم؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا نَجْ مِنْ ذِي عَظِيمَةَ
وَلَا فَيْأَنِي لَا إِخَالُكَ نَاجِيَا

﴿ يُظْنُونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظُنُونَ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كَلْهُ اللهُ ﴾.

﴿ .. الظَّانِينَ بِاللهِ ظُنُونَ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ .. ﴾ الآية.

قال ابن القيم: في الآية الأولى:

المقصود من هذا الباب أن كثيراً من الناس لا يسلم لحكمة الله ولا يسلم الله قدره السابق ولا يسلم له سبحانه ما أراده من تنبية العباد على أغلاطهم وأخطاءهم حتى يستعدوا ويتبهوا، بل أساوا الظن بالله من وجوه كثيرة:

١- فمنهم من يظن أن الأشياء التي تقع مما تخالف هواه لم تكن بحكمته ولم تكن بقدر سابق.

٢- ومنهم من يظن أنه بمجرد المشيئة لا عن حكمة تقع.

٣- ومنهم من يظن أن الله جار على العباد وظلمهم حتى فعل كذا وكذا، وظلم فلان، وهزم فلان، فلماذا هذا كله؟!

فهذه ظنون الناس وهي كثيرة. ولهذا قال الله عز وجل في المنافقين ﴿ وَطَانَةٌ
قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنفُسَهُمْ يُظْنُونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ وهذا في قصة أحد لما وقعت وجرى
للمسلمين ما جرى من الهزيمة والجراح وقتل سبعين. نجم النفاق وتكلم المنافقون
بما تكلموا به وظنوا بالله غير الحق وقالوا ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ أي هل
لنا تصرف في شيء ويقولون: ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَهُنَا ﴾ أي أنتا
مجبورون، وليس لنا أمر، ولكن قادنا محمد إلى هذا الأمر حتى وقع ما وقع،
وهذا كله من جهلهم وضلالهم ومن قلة بصيرتهم وعمى قلوبهم، ولهذا ظنوا بالله
ظن السوء، وظنوا أن ما وقع لم يكن لحكمة بالغة، وظنوا أن الله لا ينصر رسليه،
 وأنه سيضمحل أمر هذا النبي، وأن ما وقع لم يكن إلا بمجرد المشيئة. فصار ظنهم

هذا إجماع بين سوء الظن بالله من جهة أنه لا ينصر رسلاه ولا أولياءه ومن جهة أنه لم تقع هذه عن حكمة بل بمجرد المشينة.

وهذا كله باطل. ولهذا بين سبحانه في كتابه العظيم حكمه وأسراره فيما يقضيه ويفعله ويسرعه وأنه يبتلي عباده في السراء والضراء والشدة والرخاء ليمحص ما في قلوب المؤمنين ويتحقق الكافرين ويتبوا المؤمنون إليه ويستغفروه ويعدوا للقاء الله سبحانه والقيام بحقه كما قال تعالى ﴿أَوْلَى أَصَابَتُكُمْ مَصِيرَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مُثْلِيَّهَا قَلْمَنْ أَنِّي هَذَا قَلْمَنْ هُوَ مَنْ عَنْدَ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وما أصابكم يوم التقى الجموعان فبإذن الله وليرعلم المؤمنين وليرعلم الذين نافقوا﴾.

فله سبحانه حكمة بالغة في إبلاء هؤلاء وهؤلاء فالمؤمنون يتلون ليتمحص إيمانهم وتغفر سيناثتهم وليرعدوا للقاء ربهم. والكافر يتحققون، والمنافقون يفضحون ويظهر خزيهم وباطلتهم.

ولكن المنافقين فسدت قلوبهم وأسأموا الظن بالله ولهذا نصر الله المؤمنين كما وعدهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرَ اللَّهِ يَنْصُرُكُمْ﴾ ﴿وَلَمْ يَنْصُرُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا الوعد لا يقدح فيما يقع من هزيمة أحياناً ليتخذهم شهداء والحكمة بالغة أخرى تقدم بعضها أ.هـ.

ولأن الناس لو نصروا دائمًا ولم يصبهم شيء من الخلل لربما ابتلوا بالعجب والكبراء وعدم الخضوع لله وعدم الاعتراف بتقصيرهم وتفصيهم، وربما ظنوا أن هذا بخيتهم وقوتهم وأعمالهم، فإذا ابتلهم شيء من هذه الأشياء انكسرت نفوسهم ورجعوا إلى الله. والواجب على المسلم أن يفتش نفسه ويحاسبها لعله يسلم من هذا البلاء، ولهذا من فتش نفسه وجد عندها عيوبًا ووجد عندها اعتراضًا على القدر وعجبًا بنفسه وبأعماله إلا من عصمه الله.

وعلى المؤمن أن يؤمن بقضاء الله وقدره وأن له حكمة عظيمة فيما يصرفه وأن له قدر سابق وأن من حكمه وأسبابه العظيمة تهيئة عباده المؤمنين لما هو أفضل ورفع درجاتهم وليرجعوا إليه سبحانه وتعالى.

٦٠- باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذى نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بُنْيَ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعَمَ الْإِيمَانَ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِنَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقلم، فَقَالَ لَهُ: أَكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبْ؟ قَالَ: أَكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

يا بُنْيَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مَنِّي».

وفي رواية لأحمد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقلم، فَقَالَ لَهُ: أَكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية لابن وهب - قال رسول الله ﷺ: (فَمَنْ لَمْ يَؤْمِنْ بِالْقَدْرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ).

وفي المسند والسنن عن ابن الدِّيلِمِيِّ. قال: (أَتَيْتُ أَبِيَّ بْنَ كَعْبَ فَقُلْتُ لَهُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِّنَ الْقَدْرِ: فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ يَذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أَحَدِ ذَهَبًا مَا قَبْلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تَؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِنَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مَتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكْنَتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُسْعُودَ، وَحَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ ابْنَ ثَابَتَ، فَكَلَّهُمْ حَدَثِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِحِهِ).

لما كان الإيمان بالقدر من أصول الإيمان وضع المؤلف هذا الباب لأن هذا مما يحصل به التوحيد ويتفى به الكفر. أي باب ما جاء من الوعيد الشديد والتحذير الأكيد من إنكاره والتكذيب به. وكان المسلمون في عهد النبي ﷺ قد آمنوا بالقدر

وسلموا به لله ثم نبنت بعد ذلك نابتة في آخر عهد الصحابة وبعد ذلك فانكروا القدر وقالوا الأمر أتف وزعموا: أن إثبات القدر يخالف العدل، وكيف تقدر الأمور ثم يعاتب العاصي والكافر على ما فعل؟ جهلاً منهم وضلالاً والتباساً للأمر عليهم. أما أهل الحق من أصحاب النبي ﷺ ومن سار على منهجهم من أهل السنة والجماعة قد آمنوا بالقدر وصدقوا به، وأن الله قدر المقادير وكتبها فلا يقع في ملكه ما لا يريد، بل قدر كل شيء وأحصى كل شيء، وهو العالم بكل شيء. وكان الإمام الشافعي رحمة الله يقول ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموه، وإن أنكروه كفروا. ومعنى هذا: أن تقول هل الله يعلم الأشياء قبل وجودها؟ فإذا قالوا: نعم، فهذا هو القدر؛ إن الله علم الأشياء قبل وجودها وكتبها عنده: من يسلم ومن يكفر ومن يعصي، وإن أنكروا أن الله تعالى يعلم؛ كفروا. لأنهم نسبوا إلى الله الجهل والضلال والله تعالى يقول «إن الله بكل شيء عليم» وقال «لتعلموا أن الله على كل شيء قادر وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا» فمن نسب إلى الله الجهل، وأنه لا يعلم الأشياء فقد طعن في آيات الله وتنقصه فيكون كافراً. ولذلك ذهب جماعة من العلماء من أهل السنة والجماعة إلى كفر القدرية وأنهم كفار لأنهم كذبوا بقدر الله وأنكروا علمه وكذبوا هذه التصوص ونسبوا إلى الله الجهل. وقد صح عنه ب صحيح البخاري في حديث عمر «الإيمان أن تؤمن بالله.. وبالقدر خيره وشره».

ودل على هذا كتاب الله أيضاً حيث قال سبحانه «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نسرأها إن ذلك على الله بسير» ولهذا قال: قال ابن عمر «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحد هم مثل أحد ذهباً ثم ...».

وهكذا قال زيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وغيره وهكذا قال أهل السنة والجماعة.

فالواجب على المسلم أن يؤمن بالقدر.

والإيمان بالقدر يشمل أربعة أمور:

١- علم الله بالأشياء.

٢- كتابتها.

٣- وأنه خالق كل شيء، ومقدر كل شيء.

٤- وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

فمن آمن بهذه المراتب فقد آمن بالقدر، ومن كذب بشيء منها فقد كذب بشيء من القدر.

* عن عبادة بن الصامت أنه قال لأبنه « يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى .. أي لن تجد طمأنينة الإيمان وراحته وذوقه إلا أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك وهذا هو الإيمان بالقدر. فإذاً آمن بهذا انشرح قلبه وعمل بما شرع الله له، ويأخذ بالأسباب وهو مطمئن القلب لأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وهذا تفسير للقدر من باب تفسير الشيء ببعض معناه.

وهكذا قال الصحابة لعبد الله بن فيروز الديلمي التابعي المعروف لما سألهم فأخبروه: أن الله لن يقبل منه شيء حتى يؤمن بالقدر إلا فإن أعماله حابطة، وهذا يدل أنهم أرادوا: أنه يكفر بذلك لأن الله قال ﴿ولو أشركوا الحبطة عنهم ما كانوا يصنعون﴾ والذى لا تقبل أعماله ونفقاته هو الكافر الذي لم يتحقق فيه الإيمان.

فمن أنكر القدر فقد أخل بشيء من الإيمان، ويركز من أركان الإيمان وبذلك يحطط عمله.

وقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عوف مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة» فالامر قد أحكم ومضى به علم الله وكتابته، وهو الخالق ومدير الأمور على ما قدرها سبحانه وتعالى.

وهذا هو الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة من كان عليه كان على الحق ومن حاد عنه حاد عن الحق.

٦١- باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلَيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» أخر جاه.

ولهمما عن عائشة رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيمة الذين يشاهدون بخلق الله».

ولهمما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم». ولهمما عنه مرفوعا - (من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفع فيها الروح وليس بنافخ).

ولمسلم عن أبي الهياج: قال: «قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمسها، ولا قبراً مُشرقاً إلا سويته.

يريد المؤلف من هذا الباب بيان أن التصوير من جملة الكبائر التي تقدح في التوحيد وتعرض فاعله لغضب الله والنار وتنقص إيمانهم وتضعفه. والمصورون هم الذين يشاهدون بخلق الله في تصوير الحيوانات سواء باليد أو بأي آلة إذا كان المصور من ذوي الأرواح.

قوله (من أظلم من ذهب يخلق كخلقي . . .): هذا استفهام بمعنى النبي أي لا أحد أظلم من عمل هذا العمل وهذا العامل، والمراد التحذير والتنفير من هذا العمل. وهذا الأسلوب جاء في القرآن في مواضع كقوله تعالى «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» وغيرها.

قوله (يخلقن كخلقي): أي يصور تصويري. فإن كانت عندهم قوة، فليخلقوا ذرة يكون لها صفات الذرة من العقل والمشي وغيرها وهي مع صغرها فهي حيوان عجيب. أو ليخلقوا حبة لها صفات من الإنبات والنفع للناس. فإن كانوا يعجزون

في الجماد النبات، فكيف في الحيوان؟

* ولهمما عن عائشة مرفوعاً «أشد الناس عذاباً يوم القيمة الذين يشاهدون بخلق الله» ولهمما عن ابن عباس مرفوعاً «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة...» وقد أجمع العلماء على أن التصوير لذوات الأرواح من الكبائر والمحرمات إذا كان له ظل أما إذا لم يكن له ظل كالصور في الجدران والألواح والملابس وغيرها فقد رخص في هذا بعض التابعين. وأجمع الأئمة الأربع والجمهور على أنه محرم أيضاً كالذي له ظل وهذا هو الصواب، لأن الأحاديث تعم ما كان له ظل وما لا ظل له وتشمل التصوير الشمسي وغيرها. وما يدل على عمومها أن النبي ﷺ لما قدم على عائشة ورأي عندها سترًا فيه تصوير تغير وغضب وقال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيمة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، والستر ليس فيه شيء من الظل ومن جنسه التصوير الشمسي. ويدل عليه ما وقع يوم الفتح لما كان على الكعبة صور فقدم له أسامي ماء فمحاه النبي ﷺ.

فالواجب الحذر من هذا وأن يتعد المؤمن عن هذه المحرمات ويجب إزالتها واتلافها وطمسها.

قوله (ولا قبراً مشرقاً إلا سويته: مشرقاً : مرتفعاً).

وقد نهى النبي ﷺ عن البناء على القبور لأنه من وسائل الشرك وكذلك الصور من وسائل الشرك وإنما وقع الشرك في قوم نوح بسبب هذه الصور. أما ما يتعلّق بما وقع هذه الأيام من الحاجة إلى الصور فهذا يقيد بقيده، من باب الإكراه إذا اضطرّ الإنسان إلى ذلك، فيفعله وهو كاره له، كالصور لحفيظة النّفوس وما أشبه ذلك.

والصور تمنع دخول الملائكة كما في الحديث الصحيح.

ويستثنى من ذلك ما كان ممتهناً فهذا لا يجوز تصويره ولو كان ممتهناً، ولكن إذا استعمل ممتهناً في الفراش فلا يمنع دخول الملائكة كما أن الكلب الذي للحرث والزرع والماشية لا يمنع دخول الملائكة لأنه مأذون فيه ومرخص فيه، فلو اشتري

بساطاً فيه صورة وجعله وسادة فهذا لا يضر لأنَّه متهن، والله أعلم.

* صور المجاهدين الأفغان داخل في هذا المنع لأنَّ الجهاد يقوم بدون صور، وكذلك لا ينبغي التصوير بأشرطة الفيديو.

* تخفيط الحيوانات لا ينبغي لأنَّه إضاعة للأموال بلا فائدة وقد يحتاج بها الناس بأنها صورة وقد يعتقد فيها باطلأً كما يعتقد بعض الناس أنها تمنع الجن وما أشبه ذلك.

* والمنع في الحديث يشمل الصور التعليمية وغيرها.



٦٢- باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: «وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ» [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة محققة للكسب» أخر جاه.

وعن سلمان: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث لا يُكلّمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مُستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسنده صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتى قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم (قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثة) ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يُستشهدون؛ ويُخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السُّمَّنُ».

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم بيمينه، ويُمْيِنُ شهادته». وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والوعهد ونحن صغار.

أراد المؤلف بهذا الباب بيان أن كثرة الحلف نقص في الإيمان ونقص في التوحيد لأن كثرة الحلف تفضي إلى أشياء:

١- التساهل في ذلك وعدم المبالاة.

٢- الكذب .

٣- ظن الكذب به.

فإن من كثرت أيمانه وقع في الكذب فينبغي التقلل من ذلك وعدم الإكثار من الأيمان ولهذا قال سبحانه وتعالى:

«وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ» فهذا الأمر للوجوب فيجب حفظ اليمين إلا من حاجة لها، فالمؤمن يحفظها ويصونها إلا من حاجة ولمصلحة شرعية أو عند الخصومة

والنهاية إليها ونحو ذلك، ولا يكثير منها لما سبق ولأنه يظن به الكذب.

* حديث أبي هريرة مرفوعاً «الحلف منفقة للسلعة محقة للكسب» وفي لفظ «اللربح» وهو يدل على أن كثرة الحلف من أسباب الوقع في الخطأ فهو يعني باليمين يريد أن ينفق السلعة، ولكنه يقع في الحظر وهو محق الكسب وقلة البركة، فهي مروجة للسلعة لأنه يحلف ويقول: والله أنها طيبة أنها كذا وكذا فيفر الناس الذين يشترون منه، فربما صدقوه ولكنها محقة للربح الذي يتعاطاه بسبب تساهلها في هذه الأمان.

وفي حديث أبي ذر عند مسلم مرفوعاً «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسيل إزاره والمنان بما أعطى والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة» فتفريق السلعة قد تكون بالكذب أو بالصدق ولكن الإكثار منها توقع في الكذب. وربما جره الطبع إلى أن يكذب فالواجب أن يحذر.

ثم هذه الأمان من أسباب محق البركة والواقع في الحرام.

* حديث سلمان مرفوعاً «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب

أليم»

أشيمط زان: أي شيخ أشمسه الشيب، الشمط: الشيب.

عائل مستكبر: أي فقير مستكبر مع فقره يتكبر والغني قد يتكبر من أجل المال.

ولكن الفقير لا يدعوه إلى التكبر إلا أن هذه سجية له وشيء استقر في قلبه.

ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه: ففي هذا حذر من هذه الخصال ومنها: زنى الشيخ الكبير، فإن هذا عظيم لأن الشاب قد

يتوب ويقلع، أما الشيخ فلا يحمله على هذا إلا أنه شيء استقر وبقي في قلبه.

قال العلماء: وهذا يدل على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي وضعفه.

* وعن عمران مرفوعاً «خير أمتي قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم»

قال عمران فلا أدرى... أقال بعد قرنه مرتين أو ثلاثة... .

لكن المحفوظ من حديث عمر رضي الله عنه في المسند أنه مرتين ومن حديث

ابن مسعود كذلك كما هو هنا.

ثم بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون.. أي أن الأحوال تتغير بعد القرون المفضلة الثلاثة حتى توجد الخيانة وعدم السوفاء بالنذر وشهادة الزور ويكثر هذا لضعف الإيمان وغلوة الجهل وكثرة الأغلاط.

والوفاء بالنذر واجب وهو من صفات المؤمنين، والنذر لا ينبغي كما في الحديث: «أنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج من البخيل»، ولكن إذا نذر فعله الوفاء. وهذا في نذر الطاعة أما نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به والصواب أن عليه كفارة يمين.

(يظهر فيهم السمن) أي سمن الأجسام لكترة الغفلة والإغراء في النعيم والشهوات ولكن لا يلزم أن يكون كل سمين متوعداً وسيئاً بل قد يكون منهم الصالحون وهذا إشارة إلى الغفلة والإعراض عن الاستعداد للأخرة.

(خير الناس قرنى) هذا يعم الناس كلهم في هذا القرن وهم الصحابة وهم خير الناس بعد الأنبياء ثم التابعين ثم تابعي التابعين.

ثم يجيئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته: وهذا من قلة المبالاة والاستهتار لضعف الإيمان وقلته.

أما المؤمن فلا يشهد إلا عن صدق ولا يحلف إلا عن حاجة.

قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة ونحن صغار.

أي كان السلف يؤذبون أبناءهم إذا شهدوا وحلفوا حتى لا يعتاد هذا. إذا كذب فيشهد على كذبه بالأيمان الفاجرة والعهود الظالمة أي يؤذبونهم ويوجهونهم حتى لا يعتادوه، لأن الصبي إذا اعتاده فقد يتسلل فيه في كبره، وهذا من عناية السلف بتربية أبناءهم على الأخلاق الفاضلة وال التربية الصحيحة، وهذا هو الواجب على كل مسلم.

٦٣ - باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدهَا» الآية [النحل: ٩١].

عن بريدة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاه بتفوي الله ومن معه من المسلمين خيراً.

فقال: اغزو باسم الله، في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تُغلو، ولا تغدوا، ولا تُثشو، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فآتىهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حُكم الله تعالى. ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يُجاهدوا مع المسلمين. فإن هُم أبوا فسائلهم الجزية. فإن هُم أجابوك فاقبل منهم. وكف عنهم. فإن هُم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه. ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذمكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله. فلا تُنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حُكمك فإنك لا تدرى أنصيب فيهم حُكم الله أم لا» رواه مسلم.

أي باب ما جاء فيه من تعظيمهما والتحذير من إخفارهما والتحذير أيضًا من جعلهما للناس لأن هذا وسيلة إلى إخفارهما، فالواجب على ولاة الأمور أن لا يجعلوا للناس ذمة الله وذمة نبيه، وإنما يجعلون لهم ذمة الرئيس والملك وأصحابه. وهذا من باب تعظيم ذمة الله وذمة رسوله، وهو من باب إكمال التوحيد.

والإيمان، وانفخارهما نقص في التوحيد ووسيلة إلى التلاعيب.

قال تعالى «أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم».

فمن عاهد بذمة الله أو ذمة رسوله فعليه أن يوفى، وإن كان قد أخطأ في العهد بذمة الله ورسوله لكن عليه أن يوفى بذلك وعليه أن لا يخفر بذلك.

«ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها».

أي لا تنقضوا العهد بعد أن أكدتوها بالأيمان الشديدة والمعاهدة، بل أوفوا كما قال سبحانه «أوفوا بالعهد إن العهد كان مستولا» و قال ﷺ «يرفع لكل غادر يوم القيمة لواء عند إسته ينادى عليه: هذه غدرة فلان بن فلان» وهذا فيه وعيد عظيم ويدل على وجوب الوفاء بالعهد.

* حديث بريدة بن الحصيب عند مسلم أن النبي ﷺ كان... فيوصيه في نفسه وفي جيشه أن يتقي الله فيهم وأوصى الجيش بتنقى الله. (ادعهم إلى الإسلام أي ادعهم إلى الشهادتين أولاً قبل كل شيء كما في حديث معاذ حين بعثه إلى اليمن، فإذا أجابوا ونطقو بالشهادتين علمهم بقية الفرائض.

قوله (يجرى عليهم حكم الله): أي في الأوامر والنواهي.

خصال أو خلال: شك من الراوي والمعنى واحد وهذا من حرص الرواة رحهم الله.

فإن أبوا فاسألهما الجزية: أي أبوا الدخول في الإسلام والهجرة فاسألهما الجزية وأقبل منهم. وهذا في اليهود والنصارى والمجوس كما قال تعالى «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» [براءة: ٢٩].

فالسنة أطلقت من يؤخذ منهم الجزية، والقرآن قيد بأهل الكتاب وألحقت السنة بأهل الكتاب: المجوس فيأخذ الجزية لا في حل الطعام والنساء وغيره.

فاستعن بالله وقاتلهم: فيه وجوب الاستعانة بالله وأن المؤمن يستعين بالله في قتال أعدائه ولا يعتمد على قوته فقط.

وإذا حاصرت أهل حصن: أي الأبنية والقلاع حيث كان يتحصن بها أهل الكتاب غالباً، ولم يكونوا مع الأعراب في البوادي.
فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه.. فإنكم أن تخفروا ذمتكم.
الإخفار: مصدر أخفر (رياعي) هو نقض العهد.

أما الخفر: فهو (ثلاثي) من خفره يخفره إذا حمأه ونصره ومنه الخفير وهو الحامي، فأخفره: أي أزال حمايته وعهده.

فالواجب على المسلمين أن لا ينقضوا العهد والميثاق، ويخفروا، وليس لهم أن يجعلوا ذمة الله وذمة رسوله لأنهم إذا وقعوا في الإخفار صار أسهل في حقهم من الإخفار في ذمة الله وذمة نبيه مع أن كلاهما لا يجوز، لكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الكبائر أشد من بعض.

وكذلك إذا طلبوا منهم أن ينزلهم على حكم الله فإنه لا يقبل بل يقول:
أنزلكم على حكم أصحابي. ولا يأس أن يقول: سوف اجتهد في إنزالكم على موافقة الشرع ولكن لا أستطيع أن أنزلكم على حكم الله لأنني قد أخطئ فیعرض عليهم اجتهاده حسب ما يوافق الشرع، لأنه إذا أخطأ يكون قد كذب على الله فهذا من باب الحيطة، ومن باب الآداب الشرعية في إعطاء العهود والمواثيق وإنزال العدو إلى حكم يرضاه الله تعالى.



٦٤- باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتأنّى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبّت عملك» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: «إن القائل رجل عابد: قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته».

أي باب ما جاء فيه الوعيد فإنه لما كان الإقسام على الله جرأة على الله ونقص في التوحيد وضعف في الإيمان ذكره المؤلف هنا.
جندب: بفتح الدال وضمها لغتان.

* حديث جندب قال قال رسول الله ﷺ قال رجل والله...
من ذا الذي يتأنّى عليّ: التألي هو الحلف والألية اليمين.

والحديث فيه التحذير من التألي على الله والإقسام عليه بأنه لا يفعل كذا ولا يفعل كذا، والله لا يغفر لفلان ونحوها، فكل هذا ظلم وجور لا يجوز لأنّه ليس للإنسان علم من الله ولا عندك حق عليه، ولو كان هذا الرجل فاعل كبيرة أو صاحب معصية، بل عليك أن تدعوه بالهدایة لأن الله قد يغفر له وأنت لا تدرّي.
وهذا فيه خطورة اللسان فيجب حفظه والحذر منه وهو نقص في التوحيد والإيمان.

* في حديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد: أي أن الذي حمله على هذا غيرته وعبادته التي يتبعدها على أن قال هذا الكلام السيء. وفي هذا أن الإنسان قد يغار غيره خاطئة خاسرة، فيجترئ بها على الله، وقد يكون غيوراً فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على غير بصيرة، وقد ينكر منكرًا على غير بصيرة، ولذلك يجب التقييد بالقيود الشرعية في إنكار المنكر والنظر إلى الحدود التي حدّها الله.
أوبقت دنياه وآخرته: أي أهلكتها.. لأنها كلمة خطيرة وفي الحديث «إن

العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» رواه مسلم.

وفي لفظ «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يتبين فيها يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه» أي لا يثبت فيها..



٦٥- باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله، نهكت الأنفس وجاع العيال، وهلكت الأموال. فاستسق لنا ربك، فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله - فقال النبي ﷺ: سبحان الله ! سبحان الله ! فما زال يُسْبِح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال النبي ﷺ: ويحك: أتدرى ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك. إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) وذكر الحديث رواه أبو داود.

ذكر المؤلف هذا الباب لأنه من كمال التوحيد والإيمان، ولأن هذا من وسائل الشرك وهو الاستشفاع بالله على خلقه، فشأن الله أعظم من ذلك فلا يستشفع بالله على خلقه بأن يقول لأحد: أني استشفع بالله عليك، ولكن يستشفع بالملائكة على المخلوق فيقال: يا فلان أنا استشفع بالله عليك فهذا لا يأس به، أما على الله فلا تجور لأن شأن الله أعظم من ذلك، ومن شأن المشفوع به أن المشفوع إليه يكون أعظم، وهذا لا يليق بالله لأن الله فوق الجميع. بل يسأل الله بأسماه وصفاته.

* عن جبير بن مطعم قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ..
قال النبي ﷺ: سبحان الله. هذا يقوله ﷺ في الأمور العظيمة المحبوب منها والمكرورة، في الأشياء التي تعظم أو يتعجب منها أو ينكرها.
ولها أمثلة كثيرة كحديث الأنواط، وحديث أن الأمة شطر الجنة وغيرها.

٦٦- باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسد طرق الشرك
عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: (انطلقت في وفد بني عامر إلى
رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى»، قلنا: وأفضلنا
فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجربنكم
الشيطان»). رواه أبو داود بسنده جيد.
وعن أنس رضي الله عنه: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا،
وسيدنا وابن سيدنا. فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهينكم الشيطان، أنا محمد
عبد الله ورسوله. ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل). رواه
النسائي بسنده جيد.

هنا تكلم على حماية التوحيد من جهة الأقوال؛ وقد تقدم طرق وباب حماية
التوحيد من جهة الأفعال وحماية جناب التوحيد، والجناب هو الجزء منه، وهذا
الباب في حمى التوحيد، والحمى غير الذات وخارج عن الذات، فهذه الترجمة
أبلغ فيما يتعلق بالتوحيد وفيما يتعلق بالأقوال. فالرسول ﷺ حمى جناب التوحيد
وحمى حماه من جهة القول والعمل حتى لا يقرب الناس من الشرك ويقعوا فيه،
وتحذر من وسائله وذرائعه الموصولة إليه، وهذا من كمال البلاغ.
* عن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ
فقلنا..

السيد الله: هذا من باب التواضع خوفاً عليهم من الغلو، وإنما سيد ولد
آدم عليه الصلاة والسلام فقال ذلك تواضعاً ولنلا يقعوا في الغلو. فهو دليل أنه
إذا قيل للإنسان أنت سيدنا، ينبغي أن يقول: السيد الله حتى لا يقع في قلبه شيء
من التعاظم.

لا يستجربنكم الشيطان: أي لا يجركم الشيطان إلى مالا ينبغي، أي لا يتخذكم
جرياً أي رسلاً إلى ما يبعث إلى الشرك والغلو، والزموا الأقوال المعتادة كـ: أبا

القاسم ، يا رسول الله ، يا نبي الله ، ودعوا عنكم الأقوال التي قد تقضى إلى الغلو .

لا يستهونكم : لا يوقعنكم في الضلاله .

كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ .. ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ .. ﴾ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بْعَدَهُ .. ﴾ قال ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ .. ﴾ .

والمقصود من هذا سد الذرائع التي قد توصل الناس إلى التساهل إلى الشرك فإنهم إن قالوا له يا سيدنا وغير ذلك من الألفاظ التي يأتي بها الناس الآن من الغلو فقد يجرهم إلى أن يبعدوه من دون الله ويدعوه ويستغشوا به ويزعموا أنه يعلم الغيب وغير ذلك . وقد فعلوا كما قال صاحب البردة : يا أكرم الخلق مالي .. فوقع في الغلو حتى قال عن النبي : أنه ينجي يوم القيمة ، وأن من لا ينجيه النبي ﷺ فإنه لا ينجو وهذا من أعظم الغلو ، وقال : أن عنده علم اللوح والقلم ، وأنه مطلع على كل شيء .

فالواجب على المسلم أن يحفظ لسانه وأن يقتصر في قوله سواء مع الرسول ﷺ أو مع غيره وعليه التأدب بالأدب الشرعية في أقواله وأعماله مع الرسل والصالحين والعلماء حتى لا يقع في الغلو الذي وقع فيه اليهود والنصارى ، وأوصلهم إلى أن عبدوا أولياءهم واستغشوا بآسياءهم وصلحائهم وعلمائهم ، ووقعوا في الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر .

٦٧- باب : في قول الله تعالى

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية

[الزمر: ٦٧].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ).
فقال: يا محمد إننا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع،
والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على
إصبع. فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه: تصديقاً لقول الخبر -
ثم قرأ: رسول الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية.

وفي رواية لمسلم: (والجبال والشجر على إصبع - ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا
الله).
وفي رواية البخاري: (ويجعل السموات على إصبع - والماء والثرى على

إصبع، وسائر الخلق على إصبع) آخر جاه.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: (بطوى الله السموات يوم القيمة ثم يأخذهن بيده
اليمني. ثم يقول: أنا الملك - أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم بطوى الأرضين السبع
- ثم يأخذهن بشماله - ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟).

وروى عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف
الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال: ابن زيد حدثني أبي
قال: قال رسول الله ﷺ: (ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أقيمت
في ترس) قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما الكرسي
في العرش إلا كحلقة من حديد أقيمت بين ظهري فلالة من الأرض).

وعن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل
سماء وسماء خمسمائة عام - وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام - وبين

الكرسي والماء خمسة أمم - والعرش فوق الماء - والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال الحافظ الذهبي رحمة الله تعالى: قال: وله طرق.

ومن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (هل تدركون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم؟ قال بينهما مسيرة خمسة أمم، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسة أمم سنة؛ وكثف كل سماء مسيرة خمسة أمم سنة. وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمالبني آدم) أخرجه أبو داود وغيره.

هذا الباب الأخير في الكتاب جمع أنواع التوحيد الثلاثة.

قال تعالى: «**وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ**» هذه الآية تبين عظمة قدرته سبحانه وتعالى، وأنه يطوي السموات والأرض ومن كان بهذه المثانة فهو أحق أن يعبد ويطيع، وهو الذي له الكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله لا شيء له ولا ند له ولا يقاس بخلقه، فهو القادر على كل شيء سبحانه.

* عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من أحبّار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال ..

حبر: بفتح الحاء وكسرها وهو العالم من علماء اليهود.

يا محمد إننا نجد الله يجعل السموات والأرض على إصبع: أي أنه سبحانه يحمل هذه المخلوقات على أصبع خمسة فمعظم هذه المخلوقات السموات والأرض فإنه سبحانه يأخذها بيده ويهزها «أنا الملك أنا الجبار» أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ أين ملوك الأرض؟، وتلا النبي ﷺ الآية تصديقاً له، وفي هذا إثبات الصفات لله، وأنه سبحانه له يمين وشمال، وأن كلتا يديه يمين كما في الحديث

الآخر، وسمى أحدهما يميناً والآخر شمالاً من حيث الاسم، ولكن من حيث المعنى والشرف كلتاها يمين سبحانه وتعالى، وليس في شيء منها نقص. وكذلك الكف قال: ما السموات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

* وعن ابن مسعود قال « ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسة وعشرين سنة ... »

* وعن العباس مرفوعاً « هل تدرؤنكم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم ... »

وهذه من أحاديث الصفات ومن أحاديث العلو وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله سبحانه فوق عرشه، فوق جميع الخلق، وعلمه في كل مكان، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر.

وحدث ابن مسعود حديث صحيح جيد، وحديث العباس وإن كان في سنته انقطاع لكنه ينجر.

وله روایات أخرى أن بين السماء الدنيا مسيرة إحدى وسبعين سنة أو اثنان وسبعين سنة أو ثلاثة وسبعين سنة، وجمع بعض أهل العلم بينهما بأن السير يختلف، وأن خمسة وعشرين سنة بالنظر إلى سير الأحمال، وسير الأقدام، والسير العادي. وثلاث وسبعين سنة بالنظر إلى السير الخفيف القوى، فإن مقداره يكون بمقدار السادس بالنسبة إلى سير الأحمال المثقلة ونحو ذلك.

وعلى كل تقدير فهذا يبيّن عظمة الله وعلوّه، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم.

وفيه الدلالة على ارتفاع هذه المخلوقات، وسعه ما بينها من المسافات العظيمة، وربك الخلق جل وعلا هو الذي خلقها فهو أعظم منها وأكبر سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الم الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

٣	١- مقدمة الناشر
٥	٢- ترجمة المؤلف
٧	٣- باب حق الله على العباد وحق العباد على الله
١١	٤- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب
١٦	٥- باب من حق التوحيد دخل الجنة بغير حساب
٢١	٦- باب الخوف من الشرك
٢٣	٧- باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله
٢٧	٨- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله
٣١	٩- باب من الشرك لبس الخيط والحلقة ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه
٣٢	١٠- باب ما جاء في الرقي والتلائم
٣٦	١١- باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما
٣٨	١٢- باب ما جاء في الذبح لغير الله
٤١	١٣- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله
٤٣	١٤- باب من الشرك التذر لغير الله
٤٤	١٥- باب من الشرك الاستعاذه بغير الله
٤٦	١٦- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعوه غيره
٤٨	١٧- باب في التوحيد وغربة الدين
٥١	١٨- باب قول الله تعالى «حتى إذا فزع عن قلوبهم...» الآية
٥٤	١٩- باب الشفاعة
٥٨	٢٠- باب قول الله تعالى «إنك لا تهدي من أحببت...» الآية
٦٠	٢١- باب ما جاء أن سبب كفربني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

٦٣	٢٢- باب في التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح
٦٦	٢٣- باب ما جاء في الغلو في قبور الصالحين
٦٨	٢٤- باب ما جاء في حماية المصطفى <small>عليه السلام</small> جناب التوحيد
٧٠	٢٥- باب ما جاء في أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان
٧٥	٢٦- باب ما جاء في السحر
٧٩	٢٧- باب بيان شيء من أنواع السحر
٨٣	٢٨- باب ما جاء في الكهان ونحوهم
٨٦	٢٩- باب ما جاء في النشرة
٨٨	٣٠- باب ما جاء في التطير
٨٩	٣١- باب ما جاء في التنجيم
٩١	٣٢- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواع
٩٤	٣٣- باب قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ الآية
٩٧	٣٤- باب قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يَخْوُفُ أُولَيَاءَهُ...﴾ الآية
١٠٠	٣٥- باب قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كَنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾
١٠٢	٣٦- باب قوله تعالى ﴿أَفَأَمْنَوْا مَكْرَ اللَّهِ...﴾ الآية
١٠٤	٣٧- باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله
١٠٦	٣٨- باب ما جاء في الرياء
١٠٨	٣٩- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا
٤٠	٤٠- باب في تحريم من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله
١١٠	وتحليل ما حرم الله فقد إتخدتهم أرباباً من دون الله
٤١	٤١- باب قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا...﴾ الآية
١١٢	٤٢- باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات
١١٥	

٤٣- باب قول الله تعالى ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾	١١٨
٤٤- باب قوله تعالى ﴿فلا تجعلوا الله أنداداً وأنتم تعلمون﴾	١٢٠
٤٥- باب ما جاء فيمن لم يقنع في الحلف بالله	١٢٣
٤٦- باب قول (ما شاء الله وشئت)	١٢٤
٤٧- باب من سب الدهر فقد آذى الله	١٢٦
٤٨- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه	١٢٧
٤٩- باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك	١٢٨
٥٠- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ فهو كافر	١٣٠
٥١- باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ولئن أذقناه رحمةً منا...﴾ الآية	١٣٢
٥٢- باب قوله تعالى ﴿فَلِمَا عَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَاهُ شُرَكَاءَ فِيمَا عَاتَاهُمَا﴾	١٣٥
٥٣- باب قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَى...﴾ الآية	١٣٧
٥٤- باب لا يقال السلام على الله	١٣٨
٥٥- باب قول اللهم اغفر لي إن شئت	١٣٩
٥٦- باب لا يقول عبدي وأمتي	١٤١
٥٧- باب لا يرد من سأله الله	١٤٢
٥٨- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة	١٤٤
٥٩- باب ما جاء في اللو	١٤٥
٦٠- باب النهي عن سب الريح	١٤٧
٦١- باب قول الله تعالى ﴿يُظْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ...﴾ الآية	١٤٨
٦٢- باب ما جاء في منكري القدر	١٥١
٦٣- باب ما جاء في المصورين	١٥٤
٦٤- باب ما جاء في كثرة الحلف	١٥٨

٦٥	- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه	١٦٠
٦٦	- باب ما جاء في الاقسام على الله	١٦٣
٦٧	- باب لا يستشفع بالله على خلقه	١٦٥
٦٨	- باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد	١٦٦
٦٩	- باب في قول الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ الآية	١٦٨
٧٠	- الفهارس	١٧١

* * *